القافلة الأخيرة

سيرة شعرية

إبراهيم الزبيدي

الكتاب: القافلة الأخيرة .. سيرة شعرية

الشاعر: إبراهيم الزبيدي

الطبعة: 2017

الناشر: وكالة الصحافة العربية (ناشرون)

5 ش عبد المنعم سالم – الوحدة العربية – مدكور- الهرم – الجيزة

جمهورية مصر العربية

هاتف : 35825293 – 35867576 – 35867575

فاكس : 35878373

http://www.apatop.com E-mail: news@apatop.com

All rights reserved. No part of this book may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted in any form or by any means without prior permission in writing of the publisher.

جميـع الحقـوق محفوظـة: لا يسـمح بإعـادة إصـدار هـذا الكتـاب أو أي جـزء منـه أوتخزينـه في نطـاق اسـتعادة المعلومـات أو نقلـه بـأي شـكل مـن الأشـكال، دون إذن خطي مسبق من الناشر.

دار الكتب المصرية

فهرسة إثناء النشر

الزبيدي، إبراهيم

القافلة الأخيرة / شعر / إبراهيم الزبيدي

– الجيزة – وكالة الصحافة العربية.

.. ص، .. سم.

الترقيم الدولي: 4 – 52 – 5772– 977– 978

أ – العنوان رقم الإيداع : 5497

القافلة الأخيرة

يا خيول الغرباء

– أطرب زرياب الرشيد، فهمس إسحاق الموصلي في أذنه: إما أن تذهب في الأرض الواسعة، وإما أن تقيم على كرهي مستهدفاً سهامي.

– وغضب زيادة الله بين الأغلب أمير القيروان على زرياب وقال له: إن وجدتك في بلدي ضرب عنقك.

– وقيل عن زرياب في الأندلس: لولا أن خلفاء زمانه نصروه على حساده لراح ضحية.

_ 1 _

أسقطوا العصفور في الماء، وشبت فوق عينه ضبابة
طوحوا بالزهرة البكر على شوك الحديقة
طردوا النحل، أقاموا في الضحى قوس كآبة
شيدوا خلف زجاج المخزن الليلي كهفاً من دواوين عتيقة
علقوا كفناً وعيناً حذر الحاسد في كل خرابة
وعلى باب الضريح
طبعوا كفين بالحناء: من أعطى مراده؟!
منعوا الشاعر من كل سفر
وأقاموا في القصائد
أي جلاد هو الصبح الذي

يخرج من حزن المواعيد الحبيبة
ومن الحب الجريح
ومن الصمت الذي يعق ضحك الغرباء!!

آه فري يا عصافير الشجيرات اليبيسة
قبل أن ينشب في اللحم الرصاص
ووداعاً أيها الضحك النقي
يا طعام الشعراء

_ 2 _

يمتطي زرياب ريش الحلم الطائر
يجتاز المسافات المضامة
يتخطى الشجن الغافي على الرمل،
يغني:
ها الآن أجيء
طائراً يعطي زمامه
لنسيم الشغف النازل من كف الغمامة
خرجت كل مدينة
من وراء الليل والتمت عليه الطرقات
لترى القادم وهجاً وعطوراً ونوافير ضياء
هارباً عبر البراري

من بلاد الشجر النابت في بحر ضغينة

_ 3 _

يا أمير القيروان
عودي اليابس يعطيك دماً غير دماء الخلفاء
ويعريك من الثلج الذي يسكن قلبك
سيدي
لست أرى فيك الذي تبصره فيك البطانة
وأنا الآن أمامك
هل ترى في الذي لا يبصرون؟!
في دمي أجمل تيجاناً
وعرشاً
وممالك
لن ترى كل حوافيها البعيدة
أو ترى كل شواطيها المديدة
أنا بغداد العذابات الطواحن المخيفة
أتحدى فيك بغداد الخليفة
فتتضاءل
جر عن وجهي كلابك
وتضاءل
قبل أن ينهض في الصدر الرصاص

_ 4 _

يا زمان الوصل في أندلس
من ضحى بغداد آت
حاملاً عودي كما تحلم أحلم
بالغد المنقد السبح في آخر ماء الصبر
في القلب الحزين
يا زمان الموصل يا قبة عطر ومرايا
أبصر الساعة فيها ألف ساعة
وأرى وجه حبيبي

_ 5 _

وأطلت زهرة الدهشة عرساً في صبايا قرطبة
مثلما يبزغ في قلب الغريب
فرح العودة للدار فيبكي ويغني ويشم الغرباء
أشرقت فيه كما تشرق في بحر المساء
سفن الآتين من بعد غياب
واحتوته
خبات أحزانه في ضحكها الراقص..
وأرتاح من الخوف الذي كان متاع الخلوات
غسلته

_ 6 _

عاد زرياب من الحلم إلى الحلم
فما أبصر أهله
رد يا زرياب
لا تنس
ولا تبخل على أهلك دمعاً
يا مجير الأبعدين
وتقطع غربة حباً، فما زال الخليفة
قائماً كالسيف كالنار كبحر الظلمات
بين زنديك وأهلك
كدر ماؤك، شوك تحت جنبيك الحرير
والبنفسج
وزغاريد الصبايا كالسكاكين تلاقيك
وأنت
قدم تجهل أرض الآمنين

_ 7 _

يا زمان الوصل في أندلسي
لم يكن وصلك إلا حلماً
في الكرى
أو خلسة المختلس....

.....

وأفزعي خلقي إلى جيش الخليفة

يا رياح الغضب الطافح

يا خيل جميع الغرباء

1971 بغداد

المتاريس

البدايات كثيرة
تتشابك
وأنا الطفل الذي يمشي وحيداً في الأزقة
راعشاً يبكي ويبكي ويمل الدوران
خارجاً أحمل رايات المواعيد الأمنية
داخلاً أغرق في صمت الحكايات الحزينة
إنني أهرب
لكن أين؟
في الداخل والخارج وجه الجبروت

أغلقوا في وجهي الباب وقالوا
أنت يا هذا العراقي
لم لا تخفي عن الأعين أحزان عراقك؟
إنها القيد بزنديك ورجليك، ألا تتعب من حمل وثاقك؟
ثم راح الجسد الشاحب يقتات على الحزن الذي
في القلب، في صمت، وعاد الدوران
في متاهات الموانئ الأجنبية
والرجالِ الساكتين
والنساءِ الساكتات

واعديني يا سماوات بلاد الفرح الموقوت
بالشهر الذي يعقب شهر الذوبان:
أن هذا الجبروت
لن يغطي صلواتي
لن يمد العنكبوت
رمحَةُ يثقب وجه القمر المقبل نجوي
فوق بحر من دخان
واعديني أن شطآنك تبقى ذهبية
ولياليك التي كانت مضيئاتِ هنية
فرحات كالصبايا
سوف تبقى،
أن هذا الزمن الهارب مني
خوفَ هذا الجبروت
لن يغطي وجهَه بالزبد الأسود يوماً
واجعلي كل الجبال
والتضاريس بطولي
والنبوءات، البطولات، الفتوجات العصية
دون رأسي

فرحوا أن الملايين سكوت
فرحوا أن أوان الجبل الواقف كي يسقط فوق الملكوت

لم يحن بعدُ، يفوت
آه لو... لو للتماثيل دم كنت استرحت

أفلا تخشين مثلي
أن يصير النفس الخارجُ منا النفَسَ الداخلَ فينا
وإلَم الدوران؟

حينما يختلط الضحك بأنفاس البكاء
حينما ينهدم الحائط بين الفقراء
والمرابينَ، الصباحاتِ وأحزانِ المساء
الولادة
وارتعاش الموت، أقدامِ الصغار
والصبايا
بالشظايا
حينَها بصبح وجه الأرض دورة
صحن دم
يعرف الله مكانه
وزمانَه

هذه خاتمة الحزن وشهر الذوبان
هذه آخر أشواط الخيالات المهانة:

العصافير تنام الآن في حضن العصافير وتحلم
والصقور
والنسور
والمشاعل
فعلى صوت الحريق
سوف تقتاد جميع الشرفات
والمداخل
والمنازل
نحو آقطار مضيئات بأفراح الفرات
وأغاني دجلة الخير، على كل الجهات
يا رياح الزمن الأسرع من كل هواء الجبروت

أبصري
هذا العراق
آتيا بعد فراق
ليعيد الغرباء
ويصحَى الشهداء
وينام

يا رياح الزمن الممتد مثل الله في الماء وفي النار

وفي كل الصحاري والبراري والفضاءات، الذي يَهلكُ من مس وما مسَ.. يموت

إن وجه الله باقٍ وقوي لا يموت

وعدُهُ ليس يفوت

يهبط الليل على الشرفة والليلُ عيون

يحبس القلب دموعَه

قيل إن القتلة

في زوايا الشارع المحتل يصطادون همس الشرفات

وأنا كنت أعاند

وأدحن

إبرة المذياع تجري من إذاعة

لإذاعة

وأعدُ المطر الأحمر من حيٍ إلى حيٍ، ولكن

فجأة كان يهزُ الشرفة الرعدَ البريق

فيراني الفاتحون

أطعموني شرحة من بيضة الرح الحديدي... سيجارة

شرراً يدخل في الرأس، لكي أرخي عروقي وأنام

وأريحوني من الأفعى التي تركض في القلب وفي الرأس

تعالوا

وصلَ السيف على النحر، إذن
فالحجر الساقط يختار جبيني

كيف أبكي وأنا
جدث مستسلمَ يصحوا أخيراً
وسكاكين المرابين على النحو تدور؟
كيف أبكي؟
ليتني من أول العرس أفقتَ
وتليقتُ الخناجر
كنتُ ذقتُ الحجر الساقط من قبلُ ككل الشهداء
وأضأتُ الغضب الباقي الذي راح يُضاء
كيف لا يصحو فتيل زرعوا فيه زناده؟
كيف لا تسحو إلى أن تأكل النال الوسادة؟
كل هذا العفن الطافي ولم ألبث حمامة؟
(كلُ طفل شدَ من قبلي حزامه)
يا متاريس رفاقي الفقراء
قادماً أصهَلُ كالمهر وكالأفعى
خديني
قد مللت الدوران
فمتى يتزلق السوط على ظهر الحصان
وتهبُ الزوبعة؟!

حصاد الماء

رئيس الجمهورية السابق أحمد حسن البكر زار الإذاعة ليلقي خطاباً بمناسبة انقلاب تموز وعلى صدره أوسمة ونياشين لا تعد

في هذه القصيدة
أحس أنني وحيد
ألا تحس نجمتي
بأنها وحيدة!!

يا أيها اليوم الذي شقَق وجه الريح
قلبي هو المنشور فوق الريح
وجهي على مخلبك الصاعد غصنَ الروح
حلق إذن. من أي شباك تجيء الآه
خذها... تريد الله
يا حاملاً كل النياشين التي تعرف طعم الدم
يا حارثاً بالمخلب الجارح ظهر الماء
يا مغرق الشهوة بالأسماء
هذا أنا القادم عبر الغم
هي هذه القصيدة

من ذا الذي يرضي بأن الصبح
والزهر والأطفال والأشعار
والخمر والنسوة والأسرار
تصبح باب الجرح
تطفئ في النار؟!

ينفتح العالم في وجهي لكي أبصرَ!!
من ذا عاد
من أمسى َالغائم في بغداد!!
"عُمر اليمرَ حسرات
لا والله ما يراد"

عودني الحب على رفقة هذا الحزن
حتى غدوت اليوم لا أخشى سوى أن تبزغ الفرحة
لكنني أضحك رغم الحزن
حين يصير الجن
الرحمة الباقية المعطاء
حين يفوح السر
تنفضح الأشياء

فلتحصدوا يا أهلنا الباكين وجه الماء

أو تنحنوا من تحت هذا الجسر

كي تنتهي الأشياء

1969 /7/20

بغداد

لقد كنا

"في عام **1989** أخذني في الكويت صديق إلى الحدود العراقية، ورأيت من بعيد ضباط الجمارك والجوازات... والمخابرات أيضاً"

على هذا السياج كأنه العصفور يرتجفُ
من الأشواق
تأكله الصباباتُ
قريبات منازلكم
ولكن يا أحبتنا
بعيدات.. بعيدات
هناك شواطئ الجزر الطفولية
على أمتار
ودجلةُ، آه دجلة، عند مدخلها
تكفكف دمعها الأطيار
وترقب كل أجنحة العصافير التي تأوي
إلى أعشاشها تعبي
سوى عصفورها الغائب
هنا يقفُ
على هذا السياج

يذوب من شوق ويرتجفُ

ذكر تكموا
فأين ملاعب الأحلام
تجري في مرابعها ولا تتعب؟
وأين الشمس والضحكات؟
أين فضاؤنا الأرحب؟

لقد كنا
إذا مرت علينا ساعة من دون أن نلعب
يمل الليل يشكو قسوة الضجرِ
فتنزل وجنة القمر
تسأل عن خطانا البحر والشطَان
وأسوار البساتين الربيعية
وتفرض دربنا بالزهو والريحان
ويهبط من سماءِ غصونه الرمان
ليضحك مثلنا
يجري على الحيطان
وتلتم العصافير
ويخرج كل نهر من فراش النرجس النديان

لقد كنا
فيا أحبابنا لو كانت الأيام
تذوي كما تذوي من الغربة
لصاحب قبلنا... ما أثقل الغربة!!

ذكرناكم
أحبتنا
فهل لجراحنا أن تسأل الركبان
عن الموت الذي يجري
هنالك خلف هذا السور
مثلَ النار مندفعاً ولا يقف
يدحرج صخره الشيطان
يدوس براعم الرمان
ويحرق كل ما آنستُ من زهر ومن أغصان
ترى هل ينفع الأسف!!

لماذا يتعب الإنسان؟
لماذا يهجر الأوطان؟
لماذا يكبر الإنسان ؟
لماذا ...؟

آه تأكلني الصباباتُ

قريبات منازلكم

ولكن يا أحبتنا

بعيدات

بعيدات

أسطوانة

من ثلاثين سنة
وأنا محض أسطوانة
وأدور وأدور
أتأكل
وأنا أصدح من دار الإذاعة
وأغني:

"بغداد يا قلعة الأسودِ
يا كعبة المجد والخلودِ
بغداد... بغداد"
واعداً موتاي بالنصر الذي سوف يجيء
والمجاعة
والمهانة
والدم النازف منا
وجنازات الصغار
والكبار
والسجون
والكلاب الجائعة
التي تأكل من يلمس أعتاب القيادة

كلها.. جر بطولي من ا لموت إلى فجر الولادة
ثمن النصر... الصمود

أمر القائد بالتسليم في خيمة صفوانَ
وقالوا
خطةٌ بارعةٌ
تلزم في حفظ السيادة
ثم دارت بالعراق
دورة الخوف
ودارت عربات الجوع
ريح الاحتراق
سقطت فينا الجسور
والموانيِ أفقرت
والمطارات وكل الشرفات
والمزارع
والمصانع
وأستبيح الوطن المذبوح
لم تبق مدينة
نزلوا في قلب بغداد السجينة
زرعوا كل الشرايين عيوناً
دخلوا حتى القصور ا لملكية

والدهاليز الحصنية
وأنا تلك الرهينة
أسطوانة
إبرة تأكل مني
وأدور
وأدور
وأغني:

"بغداد يا قلعة الأسودِ
يا كعبة المجد والخلود
بغداد
بغداد"
وعيون الوطن الذبلى
وأحزان الطفولة
والضراعات القتيلة
في زحام السوق
في كل المزادات
من الغرب إلى الشرق، بضاعة
والشقيق
والصديق
والمرابون وتجار الرقيق

يتبارون على نهب الأمانة
يتباكون على الشعب العراقيِّ
بمقدار الذي يمنحه القائدُ
من سعر الخيانة
والفضاعة
أن أبطال التواريخ التي أوقدها الفكر المناضل
في مآقينا
وفرسانَ الهوى الحرّ المقاتل
في سبيل الكادحين
يطفئون الشمس في أوجهنا اليوم
يشدون علينا كفَّ محبولِ وقاتل

والفضاعة
أن فكر الشرفاء
دائرٌ يحمي سياجات المجاعة
ويزكي القتلَ
يستحلي البشاعة
يمنع العالم من وخز الفقاعة

وأنا وحدي أدور
وأدور

وأغني:

"بغداد يا قلعة الأسود

يا كعبة المجد والخلود

بغداد

بغداد"

غير أني

إبريق لم تبق مني

غير صرخة

فأموت

والقيادة

وحدها تبقى.. وعاش

عاش رأس القائد الشهم المقدي

صانع النصر... الصمود

دمشق 5/7/ 2001

الربيع المهاجر

صوت نيسان
على بابي هو الآن،
فهل أفتح والقلب حزين؟

ليس في بيتي سوى هذا الغبار
وآثار أقدام الصغار
وسوى صوت أسطوانة
كانت الدنيا إذا دارت تدور
وسوى بعض قنانٍ فارغات.

والشبابيك التي كانت مضيئة
لم تعد.
كل شراييني مليئة
ببكاء لا يرد
هكذا يصبح ذاك العالم الأخضرُ،
نيسان يجيء
ومراجيحي كسيرة
والعصافير مضت
ماذا إذن؟

كيف ألاقي وجه نيسان؟
بعيداً
أيها القادم بالزهر وبالضحك وبالشمس، بعيداً
ولُيقطَّع غربةَ، حزنا، وفي الصمت وحيدا
قلبي الباكي الحزين

بغداد 1967

السماء التي لا تبوح

لا تلوح يا طائراً يتدلى من صوتهِ
في دمائي.. يا أيها المستبيحُ
لا تلوحُ
فلم ألد في الأغاني أجراسها
وتباطأ ونادني من بعيدٍ
فها هنا أستريحُ
في السماء التي لا تبوحُ

ذات يوم نزلت أهلي
ولما أذنت لي النوافذ المستعارة
خطفتُ رجلي، بكيتُ
تبعتُ نجمي، خرجتُ
ولم تزل من ورائي
أوبابهم تشتهيني
ولا تفيق الرياحُ
ولا يرد الصباحُ
وحينما يمطر الخوفُ
أنضي قشرة السيف غاضباً وألوحُ

فخلِّني وتباطأ

ونادني من بعيدٍ

فإنني أستريح

نازحاً كنت في دمي

فخذوني يا ايها الفقراءُ

وتباعد

ونادني من بعيدٍ

يا طائراً يتدلى من صوتهِ

فالسماءُ

قد جاوزتها سماءُ

شيء الحب

كنا نحبّ
نتصّيد الخلوات في حرّ الظهيرة
وعلى ثغاء الريح أقتنص الظفيرة
عبر السياج، فتشهق (الخضراء) من خوفٍ
وتلهب وجنتاها
وتدور عيناها ونُقبل ثم نسقط لا هثين
نتعجل الهمسات والقبَلَ البليلة بالعرقْ
ويُصاح من خلف السياجْ
(خضراء... يا خضراء)، تبرد قبضاتها
وتهبّ تاركةً شذاها

ماذا سيحمل طائر الحب الطريد
إلاّ بقايا من تراب كان يدرج فوقَه بالأمسِ
وهي متاع غربته الوحيد؟!
كل الشواهين التي ركضت وراءه
لم تعطه شيئاً سوى ذكرى وأخيلةٍ
إذا طَالَ الفراق بها تبيد
أعطوه ظفرا نابتاً في وجههِ
أعطوه محترقاً هواءه:

هذا متاعك من بلادك أيها النجم الشريد

أبداً كانَّ الماء لم تمسه نار
حتى الحديد كأنه من غير ما عُرف الجديد
يا نارَهم من أي نارٍ أنتِ؟!
يا عصر الجليد
ماذا فعلت وما تريد؟!
الحب مروحةٌ يعلّق من بقية شَعرهم فيها المحبّون الصغار
الحب مصيدةٌ، فلا تقرب، ستُرجم بالحجار
ضع مثلهم عينيك خلف أصابع الكفينِ
وأنظر مثلما تهوى
تعلم مثلهم أن الطهارة في الستار

سأموت من خجلي
فإن أمانة التغيير أخيلة المرابين الكبار
والناس أعمدة من الشمع الملون والفخار
ألله يا عصر الجليد
ماذا فعلت... وما تريد؟!

بغداد 1967

هكذا تبغي الحبيبة

آخر الليل وفي الأفق طيور من ضياءِ
تعبر الساعة فالساعة من دون غناءِ
كنت في الريح، كطير من هموم،
راحلاً مني إلى حبي القديم
أتملّى شوقيَ العابر والخيل التي
تأكل أشعاري القديمة
وبقايا ذكرياتي

منذ أن حطَّ على قلبيَ ذاك الطائر الأخضرُ
والقلب حزينُ
وهي في سورٍ من الأشواكِ عطشى
لا تبينُ
كل يوم لي على السور صعود ونزولُ
وليال متعباتٌ وانفتاح وذبولُ
عمُري الأنجمُ والناس طريقي نحوها
وهو طويلُ
غير أني أبداً التمَّ العبادة
وأبو الطيّب جسري للولادة
غير أني

وجه كافور صديقى
وجه كافور الوسادة
وجوادي بيت شعرٍ نحو طروادة
لكني الجوادُ
وأنا طروادة الثكلي وقد خفّ الحصارُ
ومضى قبل النهاية
حاملاً أسرى أحبايَ القطارُ

هدّني عشق الحبيبة
عطرها يقبل في الليل
ولكني حبيسُ
أتلقاه بمنديل من الدمعِ
أجوس
عبر أسواق المدينة
باحثاً عنها
ولكنَ ليالي غربتي تجخل ما معنى فراق
وحنينٍ
وعراق

فأنا غيها غريب ممسكّ ثوب غريبة
فأضيئوا يا صحابي المتعبين

كلّ مصباحِ دفين في السراديب الدفينة
وأقرأوا هذي القصيدة
وأذكروا أني رهينة
لم أزل أصحو ولا أصحو
على ما أبقت النار لدينا
من مآذن
هكذا تبغي الحبيبة
هكذا يا أصدقائي

القاهرة 1966

البراءة

حينما كنا صغاراً
كانت الأيدي قصيرة
والبنادق
خشبية
وميادينُ القتال
كانت الشرفةَ والمطبخَ، والأهلُ خنادق.
حسرتي آه عليك
أيها العمر القصير
فلقد صرنا كباراً
قبل أن نشبع منك
البنادق
كبرت صارت بنادق
وجميع الطرقات
والميادين التي تمتد عبر الوطن المذبوح
أمست كلها
ساحَتنا الآن الصغيرة
والخنادق
كثرت، طالت، كانْ المذبحة
جسرنا نحو الطفولة

آخرَ العمر إذن سوف تعود
بين كفيك صغاراً
يا زمان اللعب الضاحك
يا حقل الزنَابق
نتسلى بالفراشات ونجري
في خيوط الشمس خلف الشرقات
كالعصافير نغني ونحب
ثم إذ نتعب نستلقي على عشب سواقيك... ننام

هؤلاء القتلة
كيف جاءوا
كيف جاءونا على رأس الوليمة؟

الجراحات أليمة
أشعلوا فينا الجنون

علمونا نمسك الجمر ولا نصرخُ
نقتات الماسامير، الزجاج
نعبر النار على حبلٍ، ونصطاد الأفاعي،
ونشمّ الخطوات

ملأونا بالرصاص
جعلونا قتلة
آه لو يدرون..!!
هم سدوا علينا كل درب للتروي
أسقطوا فينا البراءة

نحن نكبر
والمسيرة
تكبر الآن رويداً فرويداً
في بحار الظلمات

آخرَ العمر إذن سوف نعود
لنغني وننام
أيها العمر القصير

غنائية ليل متأخر

رأيتم أمس في نومي
ممرت عليّ كالبرقِ
مررت عليّ مسرعة وكنت أموت من شوقي
حزينُ القلب لم ألمس يديكِ
ولم أقبل نخلة الشرقِ

رأيتك لمحة وعرفت قامتك العراقية
عرفتك يا معذبتي من الصوتِ
من الحَوَر الذي في الظَّرفِ
من خفّر يخّبر أنها أنتِ

قساةُ أهليَ الباقون خلف السور يا قمري
لماذا أرسلوك إلى في الغربة
جناحا عابرا
لا عطره يروي ولا يشفي من الضجر؟
قساةٌ يرضعون صغار قتلاهم
هواء الخوف والصمت.

وها أنا يا معذبتي

مع الوقت
نزعت وجوههم عني
رميت (جوازهم)
فأنا هنا لا يبثهم بيتي
ولا أسماؤهم تمشي على صوتي
نسيت عيونهم ونسيت كل غنائهم
وأقمت في صمتي
وقلتُ حذار يا قلبي
تمنع وأتخذ أهلاً لك الغرباء في الغربة
أحنْ عليك من أهلك

فكل مشرد قد جاء من قبلك

ليغفو دونما قلم ولا ورق
وينسى كل ما قد مرّ
من حب وأعياد
ويدفن في الثرى نجمه

ولكن الذي لا يعرف الرحمة
يظلّ حتى آخر الدنيا
يمدّ نحو طريدة سهمهْ

وجئت أتيت في نومي
مررت عليّ كالرمحِ
فتحت الجرح بالجرحِ
أعدت إلى ما ودعتُ
ما أحببت
ما ضيعت من عُمري
لأبكي ها هنا في آخر السفر
لماذا أرسلوك
وما انتظرت هنيهةّ
لأشمّ في كفيك عطر غراميَ الأول
وأبصرَ في عيونك بيتيَ الأجمل
لماذا يا حبيبتي العراقية؟!

تهويمة

وداعاً لم يعد في القلب من صيدٍ لصيادِ
عصرتم زهره من مائة الزاكي...
وما أبقى من الزادِ
لأيام الفراق المرّ يا أهلي:
أحبائي وحسّـــــــادي
وألأقيتم على شباكه ستراً
فلا من خارج منه ولا غادي
وقد كانت له الأحلام بالأيدي..
تُمدُّ ولو على بعد إليهِ،،،
ويُسقط الوادي
من الشباك أغنيةّ
فلا ينس ملاعبه وما قد مرَّ من جبٍ وأعياد

لماذا يحمل العشاق زهر العشق؟
والدنيا تجمّع – دونهم – ضداً بأضداد
وتبقى كأسهم يظمي
ونارَ القلب توسعها بإيقادِ؟

وداعاً أيها الأغلون، يكبر صمت أعوداي

سكاكين الأحبة في دمي
أيانَ أملك صفو إنشادي!!
وأمرض والغد المقتول والأحزان والأشواق عوَادي
وداعاً
يسقط العصفور في البئر التي شئتَم
ويخنق صوته الحادي
أحنّ إليك يا شمساً أودّعها على مضضِ
ويا شطآن بغدادِ
فإني آلف المنفى
وأقبل حكم غربتيَ التي يختار لي أهلي:
أحبائي وحســـــادي
وأَسكتُ صوتك الملهوفَ...
يا قلباً
تعود عمره الصادي
فلا كفٌّ تُمد إليك من بغدادَ...
أو من بعض بغدادِ

المئذنة

خارجاً من قشرة الحلم الجريء
حاملاً قلبي وأمشي وأضيء
بحرُهم يخرج من أسوارهِ
يمتشق الظلمة والسيفَ البذيء
بحرهم يركض خلفي
ليضد الكوكب الطالعَ
والصبحَ العراقي الذي يحمل عطر الغالبين
ليدوس السوسنة
وأغاني الولع الآتي من الجرح يناجي موطنه

هل ترى ينقلب السحر على فرسانهِ
ويجيء
ذلك النجم المقدس
ليضيء المئذنة!!
من ثلاثين سنة
وأنا أكتم صوتي وأرى وجه العراق
غائماً يمشي إلى ساعة صحو سيجيء
سيجيء الفرح الموعود

– من يعلم من أين يجيء!! – ليلّم الزَّبدّ الموبوءَ، يمشي بثبات في العراق

(كان هذا قبل ألفٍ ديدنَة)

ساعةْ أخرى ويأتي

ويدق

جرسُ العرس هناك

خلف سور الوجع النائم فينا من زمان

ساعةُ أخرى ويأتي

ويدق

ويدق

ويضيء المئذنة

التصـــدّي

يا جبهة الفرات
وأنت يا مخاوفي
ويا رياح هذه العشية المغيرة
تجمّعوا
تجمّعوا
خذوا مكانكم هنا
على مساحة القصيدة القصيرة
لنبدأ التصدي
لصمتنا الذي يجيء

العشب في احضراره يغازل المواشيَ المغامرة
وزهرةُ البنفسج
تغار من توهَج الزوارق المسافرة
تجمعوا
تجمعوا
لنبدأ التصدي

كشهقة خجولة تندُّ من سوار
كزورق يطير في عواصف البحار

كبسمة المشرد الغريب
كصيحة القطار
أكلٌّ ما شربتُ من عطورهِ
أكلُّه يمرَ؟

بقية هنا لديَّ من دمائه (*)
وبعضُ شَعرهِ على الجدار في الإذاعة
وتحت قبة الدفاع
براعم رميَّة مبعثرة
ومغزلُ وصوفة منتشرة
وقطة تلّم ذكرياتها
بضحكة مكسرة

بدونما وداع
تُطفّئ القلاع
ودونما شراع
يسافر الوحيد

وينبع البكاء من جديد
وراء كل نسمة معطرة
وراء كل عيد

وفوق كل قنظرة
وحينما تصفق المحابس المشذّرة

لمن... لمن؟
وهكذا؟
ودنما وداع؟

بغداد 1963

(*) بقيت دماء عبد الكريم قاسم على جدار ستوديو الموسيقى في الإذاعة سنوات عدة.

محاورة قبيل نهاية المهرجان

كان لي يوماً
جنودّ وخيول وقلاع وحدود وخزائن
وكثير من أغاني العشقِ، والقلب طريّ
والخيالات كثيرة
وكبيرة
ثم جاء الصنم الشرَيرُ
ذو الصوت الأجشّ
ثم ماذا صار؟ كيف انكسر العالمُ
كيف التمّ في بضعة أيامِ وراءهَ
كلُ هذا الدودِ؟
من كان يصدق
أن جندي يصبحون الحرسَ الأكثر قتلاً
وفجروا
وخيانة؟
وخيولي تصبح الآن خيولَ القتلة؟
وسهولي وجبالي
وحدودي والخزائن
كلها في غمضة تصبح أسلاباً
وأحبابي رهائن؟

طردوني من حدودي
وغياباً حاكموني
وادعوا أني – أنا المالكُ والوارثُ –
قد كنتُ دخيلا
وأنا لستُ ابنَ أهلي
وادعوا أن الوطن
هو ذاتُه
هو ذاك الصنم الشريرُ
والخائنُ من أنكرَ أو قاومَ أو ظنّ
وها.. مر زمانٌ وأتى بعدُ زمان
فإذا بي ها هنا وحدي ألوب
وأذوب
صرت في الغربة نهراً من كآبة
ليس لي غير الخيالات وأوهام الكتابة
أتدفى بدمي البارد
أغفو

ثم أصحو كلّ أيامي
على صوت الأفاعي
وفحيح الشجر المسموم

ألقي يائساً كلَّ سحابة
ناظراً في كل يوم
كل يوم
في انتظار الخبر الموعود، لكنْ أمسح اليوم بيوم
ناظراً
ثم يجيء
ذلك الريش الذي يسقط عن لحم الحمام
وزفافي لا يجيء
وعروسي لا تضيء
وأنا النهر الذي ليس ينام
أيها الحارس خلف السور إني أتدرى
– دون أن تبصرني –
فوق جبينكْ
أبداً لن يرجع النهر إلى الخلف
وهذا المهرجان
سوف يلقي يومهُ
مثل جميع المهرجانات الهجينة.
أيها الحارس هل تبصر في قاع المدينة
ما أراه الآن فيه ويراه المتعبون الساكتون؟
قل لمن أيقظ فيك الإفعوانْ
ولمن أبدل فيك الله بالشيطانِ

والطيبةَ بالشرِ
لمن غيَّر في صدرك قلبك
ودماءَك
جاعلاَ من دم أحبابك ماءَك
جاعلاً من لحم جيرانك زادَك
ودخان المدن المحترقة
قل لمن تحرسُه
– وهو المخبّا في الحصون المغلقة –
إن يوم الفَلَتان
إن يوم الغضب الجارفِ
يوم الفَوَران
قادمٌ، صار على الأبواب، لا ريبَ
كي يبدلَ ثعبانا بثعبانٍ
وذئباً يذآب
سوف يأتي قاتلٌ أقتلُ منهُ

وجبانٌ غادرٌ أغدر منهٌ
أو رفيقٌ من رعاياهُ تصوغ المجزرة
منه صنديداً، وتجلو المجزرة
قلبَهُ
تجعلُه الأكثر إشفافاً وعدلاً وشهامة

وبهذا أو بذاك
سوف يمسي كلبُك المحروسُ والمتصور والعملاق والقادر والقائدُ
والأفهم والأعلم والأشجع والأجمل والأكرمُ.
خيطاً من حذاء

وهباءً من هباء
وشرارة
طيرتها الريح ألقتها بعيداً في المداراتِ
وضاعت في الهواء
التماثيل التي تملأ كلَ الطُرقات
هذه الأيام، والساحاتِ والدورِ كل الشُرفات
والمواخير
ستمسي أثراُ من بعد عين
وهوَ
– ذاك الصنم الشريرُ –
لا قيرّ ولا ذكرى
ولا شيء صغيرٌ بين أكوام القمامة

ها هو الآن كما الثورُ المكمَم
واقفاً بالقامة السوداء والوجه الترابيّ
وبالصوت الأجش

واقفاً بحبسُ بركان البطولات
يصدُّ الزوبعة
غير أني
مبصرٌ من ها هنا يومَ القيامة
ستموتون ندامة

صلاة في موسم الانفتاح

آه ميلي
يا غصون الشجر الأحمر والأخضر... ميلي
يا غصون الشجر الأبيض والأسود... ميلي
فوق جدران البيوت
والسلالم
فوق أسوار السجون
في المقاهي والحوانيت وفي كل المنازل
والأزقة
فالمدينة
سرق الزحفُ الجرادي حواريها وصارت مذهلة
أهلها بين قتيل وشريد ورهينة
ولياليها:
أخٌ يشرب من جرح أخيه
وأبٌ يأكل من لحم بنيهِ
ثم يمضي باحثاً عن صبية الجارِ
ينادي يا لثارات القتيل

كيف أضحك
كيف لا أحمل قلبي حجراً أسود أسود

خنجراً يصطاد في الليل المرابينَ
تعالي
يا عيون الزَّهرّ الذابل، يا كل العصافير الحزينة
ينبغي أن تغسل الآن المدينة
بدماها

هذه الأعين حبلى
في مدار تسقط الشمس من الجوع.. تموت
ثم تستيقظ شمسٌ – في مدارِ غيرهِ – أكبرُ أكبر
وفتية
وعلى بعض البيوت – داخلَ الأعين – ترتجُّ الدوالي
تتهاوى
وعلى قنطرة أخرى تفيض
وتمدُّ العسل الأبيض والأحمر
في كل مدىّ أو ظلموت

والعصافير التي تهرم، تبكي
دون أن تدري لماذا تعبت قبل الأوان

آه يا قشلة بغداد... أمان
يا أماسي جبهة النهر، ويا سوق السراي

يا أذان الكاظمية
وابتهالات الإمام الأعظم الصاحي بليل الأعظمية
يا حوانيت الرشيد
ومقاهي شارع السعدون
يا باب المعظَّم
يا صبايا بلدي المسروق، يا أهلي أمان

أنا لو كان عليَ
لأقمتُ الليل في الغربة عرسا
ومزاميرَ وخمرا وجواري
ولأتقنت اصطياد العربات
ولسافرت كثيراً في ظلام الخلوات
ولأصبحتُ أميرا في ليالي الوجهاء
غير أني
أنتم تبكون في صوتي صباحاً ومساء
وتموتون على صدري حنينا وبكاء
خوفكم أصبح مائي
وطعامي وهوائي
كيف لا يصبح أنفاسَ غنائي؟

ساعةْ ثم يحطُّ السربُ بعد السربِ

أبيض
ثم أحمر
من عصافير جديدة
جيداً تعرف أقطار الأمان
جداً تبصر.. تسمع
تلتقي فوق الغصون
وتغني الأغنيات البيضَ والحمرَ لوجه العنفوان
إنني أبصر آلافَ.. ملايينَ العيون
تتوالد
تتوالد
تحت هذا الأفق الدامي
قهل أنتم ترون
يا نواطير السجن الهمجية؟!

الصبية
خرجت من سجنها تشعل فينا الصبوات
وسيبكي القتلة
والمرابونَ
خرجنا معها ندخل عصر الصبوات
في السماوات البعيدة
تحت شمس الوطن الزاحفة الآن بكل الجبهات

آه ميلي
وانفضي فينا زغاريد السهولِ
وأناشيد البنادق
ودم العشق الذي تحمله الوديانُ
في الإعصار والنار إلينا
وابدأي فينا نداءات الرحيل
نحو أعراس العيون المستريحة
يا غصون الشجر الأحمر والأخضر ميلي
يا غصون الشجر الأبيض والأسود ميلي
ويك ميلي
ويك ميلي

زهرة ما بعد الهزيمة

أين في أي ترابة
وستسقيها غداً أي سحابة
زهرة النار التي كنا حبسنا كل صيحة
لنراها؟!
يا رفاقي في الكآبة
أيها الباقون في الليل العميق
من ترى يُطلعها من دمه الفائر زهرة
لا ككل الزهرات
من ترى منا سيجرؤ؟!
جرسي الميلاد ما علق بعد
والمرابون على رأس الوليمة
والعيون المطفآت
تسأل الساحات والغابات عن سر الهزيمة
عن معاد الانفتاح

يا قرانا
ضيفنا الوهَّاج قد أشرق في كل دمانا
لا تصدّي أهلك الباقين عن خوض المواقد
انه الفارس لا مثلَ الفوارس

انه الصوت الذي نحن هديرُه
أنا أدري
كم تقطعت على صوت سواهُ
وتكوّيت على صوت سواه
ولكم أوشكت أن يقفز صدرُك
لم يطعمك زهرُك
والمرابون بساحات المدينة
يتلهَّون بأحزانك والريح على الريح تُغيرْ
أنا أدري
غير أن القادم الآن هو السر الذي يطلب فضحَه
فلتحييه بقنينة بارود. كتاب العمر في أول صفحة
صدقيني هو صدرك
طالعا من أعين الصيبة في جوع المدينة
طالعا مما أرقنا في لياليك الحزينة

حسبنا أن رياح السادة الغاويين
لم تبق مذاقا لهوانا
أفسدت أشواقنا البيض
بما صبْت على أبوابنا الخضر الكئيبة
من قصاصات المناشير الجدبية
غير أن القادم الآن هو الريح المهيبة

إنه الريح التي أثمرت الحرقة في طول أسانا

آه ما أثقلها ريحاً عليهم!!

أترانا

سنصفي والمرابين الحساب

1967/ 10/19

بغداد

طوبى للمهاجريـن

1_ وداع بغداد

سلاماً أيها الباقونَ: ذاك جواديَ الأشهب
لديكم هامة الحلم الذي شيَّبُ
وديعتيَ التي جمَّعتُ عبر مواسم الحرقة
إذا شربت عيونكو غدا في ذات أمسية
زغاريد الزفاف القادم المتعبُ
فشدوا رقصة في منزلي المهجور
لأبصركم وإن كانت يد الغربة
تمطَّي قلبي الباكي.
وداعاً يا ضحي بغداد... أني أدخل المنفي

بغداد 1970 /3/9

2 – على شط العرب

أتاك موهج الأحزان بنفض فيك أحزانه
أتاك بقلبه المجروح متكئاً على سيف بلا مقبض
ويرقب فيك أعوانه.
سفائنك التي ترسو... متى تبحر؟
أكان صديقي السياب يلثم وجهك العاري

ويبكي فيك أوطانه؟
متى تمشي نخيلك تعبر الأمواج تقطع رملنا المهجور
لتخرج من ثياب الحزن زرقاء اليمامة تقرع الأجراس
تبارك في العشيرة مولد النخوة؟
متى يتقحم الإعصار والأسوار صوتُ ضفافنا الرخوة؟
متى يا شطنا العربي تُخرج منك ألوية الهوى... البصرة
لتشربها هنالك في البحور السبعة الأطيارُ والأسماك؟
أتاك الفارس المتعوب منكسراً
ليغفو ساعة في رملك الرطبِ
ويحلم بالغد الآتي
هنا في هذه المقهى التي تطفو على الماءِ
وفي قلبي.
سلاماً أيها الشطَ المحاصر بالرياح السود...
من يحمي زمان الوجد والخضب؟
سلاماً أيها الباقي – مخافة موسم الشكوى –
يقيد في شواطئه سفائنه وما أبقى له السلف
خلال مسيرة الماشين فوق مزارع الماء
فما قطعوا سوى أعمارهم.
لو ينفع الأسف!!
ومعذرة إذا أرثيك ياشطا بلا غضب

بغداد 1970 /3/10

3_ عشّارية

(احذروا أن تنظروا إلى امرأة)

بوذا

تهبُ على ضحاي بوجهها الأسمر
وبسمتها التي تعرف الرحمة
وترسي في دماي جدائلاً أشهى من الأمطار
بل أعطر
لها عينان: منذ تعلمت شفتاي رؤية أعين النسوة
نبشت عراق أحبابي
لأشهد ذات يوم هذه القسوة.
حنانك يا ابنة البحارة الباقين جبارين..
رغم البرد والأعصار
صقوراً تنهش الغازين..
لستُ من الغزاة ولا غواة الصيد في الأسفار
ولكنني..
أتيتك شاعراً حمل السري قلبه
ليبحث عن رفيق مثله يتقحم الأسوار
يلاقي خلفها ربَّه
يقصُ عليه تاريخاً بلا شطآن
ويهديه قصائد دونما أوطان

ويقرؤه سلام الجامح الإنسان
ويخبره
بأن وراء هودج كل عرس ظافر ما يهزم الإنسان
ويخبرهُ
بأن رقابنا لا تُستباح الآن
لكنها لن تشهد المولد.
كفّي – حنانك – هذه النظرة
كن ذا يلمَ لسانه إذ يمسك الجمرة؟

الله...
ما أقسى على الإنسان عينَ رفيقه الإنسان
أجاف عليّ من أن تكبر الأحزان

البصرة 1970 / 3 /11

4ـ في الكويت

كواد غضَّة أشجارُهُ البريةُ المعطاءً
أقدم وجهي الفرحان.. في السهرة
وأبدأ شعري المغسول بالزهَرِ:
بأوراقي هنا.. في نسغي الصاعد
أخبِّئ وجه بغداد التي تبكي من السهرِ

أغطي وجهها بعيون أحبابي
أتيت مهاجراً: أتلمَّس الجدران من باب إلى بابِ
لأبحث خلفها
عن غرفة النار التي ناجيتُ من صغري
لترضَ عن دمي بغدادُ..
ثم أعود منتصراً لها في آخر السفرِ
أبوس عيونكم: صلو ولو بعيونكم من أجل أحبابي

على أقسى من الأشواك أسبح أول الرحلة؟
أذوب إذن... وقد أنفقت حتى أنفقت حتى نغمة الغضبِ:

ستقحمكم رياح الشعر يا أوهي من القصبِ
تركت هواي في بغداد يبكي حين يذكرني
إذن... فأنا الذي لن يكمل السهرة

12_3 _ 1970 الكويت

أرق

أود لو أنام كما تنام هذه المدينة
أود أن أقفز فالمدينة
يقفز كل شارع في ليلها وتقفز المقاهي
وتسكت الأبواق في ساحتها الكبيرة
وتهجع النوافذ المنوَّره
وتنفخ الريح بقايا ورق الجرائد
وعلبَ السجائرِ الفارغةَ المبعثرة

أود لو أنام يا إلهي
هو أجسم قصيدة قصيدة
مسرعةُ في خاطري وليلتي
تجر ليلها على طيوف إخوتي
وئيدةَ وئيدة
باردةَ كئيبة كأنها خميرة
تقصها قصائدي الخناجر
دوائراً دوائر
وينبع الدخال من كتابه
يسدُ عن محاجري سطوره
أودُّ لو أنام يا إلهي

ولو على الروائح الخانقة المغيرة
تفوح من مداخلِ المقاهي
أود لو أنام
أود لو....،
أود يا إلهي

13/ 3 / 1970 الكويت

وداع الصحو

لأن حمامتي في الماء
لأن دمي يسدّ هواءه الشغفَ
لأن موائد الأحلام ترتجفُ
لأن أساي لا يقفّ
أودّع هذه الرحلة
وأغفو ساعة في الماء
وخلف معابري المطرُ
وفي قلبي رنين القبلة الأولى

أبوس يديك أن ترجع
لأجل قصيدة أجمل
لأجل زوارقي الأُخرِ التي مازلتُ أنتظرُ
لأجلي أيها الماشي
ودعا يارنين القبلة الأولى
تبكّيني
وقد ذهب الذين أحبَّهم
وبقيتُ متكئاً على نابي
أحاور ظلمة الإبحار في ضَحِكات أربابي
وأحلم بالذي أسرى

وخلَّفني: يدور على جبيني الشوقُ والخجلَ
إلى أن يسقط الفرح الذي يبكي
وداعاً:
ليس يكتملُ
على كتفِ الطريق البدرُ مثلَ حمامة في الماء

28 _ 10 _ 1970 بغداد

دعوة إلى الطوفان

لا تخافوا
لا تقولوا إن إعصار الخفافيش يعود
لا تقولوا سيموت الميتون
مرة أخرى...
ويبكي
مرة أخرى صغيرّ أيقضوهُ ليرى ذبح أبيهِ
ولماذا...
يفتحون الباب للموت علينا..
مرة أخرى
لماذا يرجعون؟
ومتى نمسك عصفور الدم التائه
بين الجهات؟
عاد فرسان الخيول الهمجية
مثل إعصار من الدود
يطوفون السهول
والجبال الساكتات
ويطيرون على كل جناح
ويحطّون على كل صباح
في العيون

في الشرايين التي ما ظلّ فيها غضبٌ
تفتح أقطارُ المرابين أياديها
تصلّي
للرياح العائدات
وتغني علناً عرسَ لقاء العربات
فوق أجساد نساء الميتين
وصباياهم
وتنهال الصخور
وتنادي بعضَها تلك الصقور
ويغطي صوت قتلانا ترابُ الانهيار

في انتضار العين دمع
لا كما ذاقت
وموجات اختناق
في انتظار القلب
مشوار احتراق
لا كما مر عليه الاحتراق
يا عراق
أيها الخازن مجدك
أيها النائم في سحر البطولات التي
تملأ جدران قصورك

أيها السيف المذهب
قم حنانك
قم حنانك
بحرنا من ثلج أنفاسك شيَّب
نمت فينا كل هذا العمر
والآن أتوا نملأ ... جراداً..
ملأوا كل سريرك
فتنفضْ
وقم الآن وأعلن مهرجانك
شبع الجوعى أناشيدَ
فأين الماء والزادُ
متى ينفلت المهرُ...
متى يكسر جدران الزريبة؟
أيها الممتد عبر الوطن المقلوب كالدنّ
بأحضان الحبايب
نحن في المحنةِ
إن لم تنهض الآن
فلا أنت ولا نحنُ
فإن الدائرة
هذه المرة لا مثلَ الدوائر:
نحنُ

أو هذا القطار القاتل الآتي المغامر

تُقرع الأجراسُ
والزلزال آتٍ
ظلمةٌ أخرى
ضياعٌ
وعويل من جديد
فمتى يخرج من قاموسه البحر الجليد؟
يا عراق...
يا عراق...
أخرج الطوفان من قبضة عشتار
فقد آن الأولن
وأصنع الفلكَ
وأَبحرْ

وليزغرد في سماء المدن الموتى
رصاص
رصاص
رصاص
علّه من صمته الكافر يستيقظ فينا
الأفعوان

عله من صمته الكافر يستيقظ فينا

العنفوان

ثم نجتاز الوليمة

وانهضوا يا كل قتلى وطن القتل الكبير

وليقبّلُ بعضنا بعضا على صوت النفير

قبلة الداخل في كهف الثعابين الضريرة

حاملاّ قتلاه في كفٍ

وفي كفِ

كنسر جائع الجرح ضميرَه

مرحباً دائرةَ الموتِ

فما زلت تدورين بنا

كلَّ زمان الانكسار

ويك دوري هذه المرةَ، فالموت رصاصة

مرة واحدة نأكل منا نستريح

أيها الموتى

ويا جوعى

وجرحي

وثكالى

لا تخافوا

لا تخافوا

كلمات في آخر الليل

قسماً بالقمر الطائر في الريح مهاجر
بالذي أفلت من بين الأظافر

وعلى وجنته خمسون جرحاً
وأتى يسأل في أقبية الليل عن الماء الذي يغسل في الصادر الخناجر
متعب العينين والكفين والقلب، مسافر
لن يطول الانتظار
لن يدّفي طائرُ الحزن جناحيه بمائي وهوائي أنني ألقيت للشوك وللطين
حمامتي الجريئة
وتدليتُ على وحش الخطيئة
فوداعاً يا شرارات الحنين
يا بكائي وغنائي

صوت في قصر لم يمسسْهُ الخوف

"عشرون سيافا ذبحوا بضربة واحدة صبية ذات مساء، وقالو لي:
اشرب من دمها هذه الكأس، وغّنِ لنا...،"

يا ملكاً غاب عن الأنظار
واتخذ المملكة الجديدة: السدرة والماءَ،
وبعض النار
يضحك في قصرٍ من الأنجم
والرمل
ومن دانية الأشجار
غاب عن الأنظار
ضاع، فمن ينهي ومن يأمر في الأقطار
في كل ما شيّدَ من أقطار؟

الناس في الساحات في القاعاتِ
في كل ضحىّ يجلده الجند على الأسوار
يبكونه.. يستذكرون جبينه الناريَ
والأبحار
آت، سوى نُصب له في ساحةٍ مهجورةٍ،
سيفٌ ولا سياف

طيفٌ من الأطياف
كان هنا يوماً، هنا في الدار
طيراً ولم يسقط مع الأطيار
رفَ على شرفته، ثم رأى ما لا يرى النائمُ:
هذا المُلك لا دار ولا ديار
تجرفه ساعةُ إعصار من الديدان
في سيل من الأرجل والأيدي،
على خيلٍ من النيران والأمطار
يا هول ما أبصره !!
سرّ من الأسرار
ما طاله أنس ولا جنٌ
وها إن الهواء الحار
آت من الوديان
فليحمل إذن كل فؤادٍ صوتهُ
بُدّلت الأدوار
ولتهرب الأطيار
حدثني يوماً عن الحجاج كيف انتزع المخدع من عشتار
قال: وما خفَّ لها يسترها أيٌ من الأخيار
ما ظل باب لم تقف تسأله النجدةَ، لا قاضٍ ولا عيار
أنكرها الورّاق والحارس والعطّار
والشاعر الجوّال والسمسار

تصير أم تنهار؟
قال : غداً يا صاحبي إذ تنحني السّدرةُ
والحجاج إذ يَنفق في مخدعها
والبعل إذ يسقط من قبضتها في النار
من ذا الذي يفلتُ، من يهرب من عشتار؟

حدثني يوماً وها إن الهواء الحار
هبَ على أوجهنا.. ينذر الأعصار
فلتحملوا يا أهلنا أشلاءكم
ولتهربوا من حقدها الجبار

حدثني:
البحر ما جف ولا قصر من قامتهِ
طارق لم يبنِ لنا جسراً
على أبحر الذي يغدر بالبحار
إبك إذن مُلكاً على وجنهِ قد خُط بالأظفار:
السيف مخفورٌ
وهذا الملك للزوار
إن الذي يخرج عن قاموسهِ
يركب ظهر النار
إن الذي يسبح في بحرينِ

لا يضحك في إبحار
يُسلمه التيار للتيار
مَن طارقٌ؟
كان يداً ترجم بالأحجار
قنينة الماء التي كانت على أمتار
حطّمها ثم هوى يصرخُ
في أعمق ما نعرف من آبار
قال وما رفّ له جفنُ أسىً:
يحملنا في السلة السمّار
أمتعةً أوسمةَ
يأكلنا يشربنا السمّار
حتى إذا سأل دم منا
على راحاتهم
قال شقَيّ منهمُ يرقص كالمنشار:
المجد للقادر أن يبقى على سدّتهِ
يقتل أو يسرق
يستهزئ بالأقدار
حدثني ثم مضي
لكنه حّملني قنينة البارود والبيضةَ والمسمار
أنذركم:
المُلك في مفترق الأنهار

والمجد للراقص حول النار

يشوي فراشات الهوى

يأكل حول النار

فلتهجروا الساحات والقاعاتِ

لا تبكوا إذن

وانتظروا هبّة إعصار من الأرجل والأيدي

فقد بدلت الأدوار

1975 / 7 / 9

بنغازي

عشية الخروج الأخير

أودعكم
ولكن الذي يمشي على جرحه
يظل يرافق الجرحى
إلى أن يرتمي
أو يشهدوا الصبحا

أسير وهذه الأبواب تحترقُ
وكل مودّع قلقٌ
يمد الحارس المذعور قبضتهُ
ويطفئ نجمه المسرى
ويخرج من وراء الباب سكيناً
يمدّ آلة فمي رمحا
فيوشك أن يلف شراعيَ الغرقُ
ترى هل يمسح الأرق
وأيام الرحيل
وجوعهُ
وبكاؤهُ
من قلبيَ الوشما
وما تركت على صدري

أصابع حارس البوابة المذعور
هل ينسى دمي الحلما...؟

غنائي في رحيلي
آه لو تدرون:
كيف يرقُ
كيف يرقُ
والأوتار تحترقُ؟
تقاذفني الدوربُ..
فكل درب حارسٌ نزقُ
ويكبير جرحى المخبوءُ
حين يزورني قمر هنا في هذه الغربة
يميل عليَّ من تعبٍ
ويلعن مهنة السفرِ
ويخبرني
بأن الدار مسكونة:
مناضدُها
أرائكها، أواني زهرها
حتى وما فيها من الحجرِ
لها آذان
فكيف أتوب من اسمي

ومن لحمي
وكيف أهادن الظلمة
وكيف أصادقُ الديدان؟

أودعكم
وأسألكم:
متى يستيقظ الإنسان؟
متى يتفجرُ البركان؟
متى لا يسمعُ الطير الذي يُحرقُ
إلا صوتهُ
وحريقَهُ
وجموحَهُ
وعواصفَ الأحزان؟
أودعكم
فلا تلقوا على جرحٍ
سكاكين العتاب المرّ... فالجرحى
وإن سكتوا
يرون الزهر والأطفال والنسوة
يرون شوارع الخَلَوات عبر جراحهم... جرحى
تُرى من يسمع الصوت الذي يأتي من النيران؟
ترى من يشرب الكأس الذي لوثه الثعبان؟

أودعكم
ومعذرةً
فلن يغتفر الإنسانُ
رمحَ رفيقه الإنسان

1974 بيروت

الفصول الأربعة

الستارة:

"لو أسى يخفي عن العين لأخفاه أساهُ"

الفصل الأول:

قد ولدنا مثلما تولد في الصخر زنابق

وتمطينا على دجلة في ذات أصيل

مثلما تنشر في الريح بيارق

وتكحّلنا كما تُكحل في ليلة عرس

بمصابيح الوليمة

شفتان

كيف أنساها وهل تُنسى الولادة!!

كان فوق الجسر حين اتسع العالم في ذاك اللقاء

يتمطى الصحو في آخر ساعات الشتاء

آه لو كنا غفونا

واتخذنا ذلك الجسر وسادة

الفصل الثاني:

ما كانت العيون في طريقنا

وكل شهقة وجدها تصل في عروقنا

فذابت الوعود في الوعود

وسكرة الربيع في دمائنا

تلوَن الصباح والصباح والصباح

وتُسكر الرياح بالرياح
وذات يوم ونحن في توهُج الربيع
أطلَ طائرٌ متربُ الجناح
يحوم فوق رأسها
وساعة.. وفوق رأسها يحطُ
وفوق جبهتي يحط
فأشتكى الدوار
وتشتكي حبيبتي
وينتهي النهار

الفصل الثالث:
"وكنا نعدكَ للنائبات فها نحن نظلب منك الأمان"

الفصل الرابع:
كيف أشرقت عليها
كيف يا شمس نهار لم
أكن احسب اني سأراهُ
كيف لامست يديها
وتسلّلت إلى الزهر الذي يا ما تساقطتُ عليهِ
وهى نشوى؟!
أترى مثلي تخدّرتِ بربنا شفتيها!!

من تراهُ
سيدفّقي بعديَ الدرب قصائد
ويناجيها مع الصبح فيخضلَ صباهُ!!
طر بأحزاني بعيداً
أيها القلب الجريح
طر لكي أهوم في الليل وحيداً
لن تدفّى بعد اليوم كفي شفتاها
صوتها الضاحك لن يطرق بابي
وعلى الهاتف لن أنفق ساعات احتراقِ
بعد هذا اليوم لن أصحوا على سحر العراقِ
فتصَير أيها القلب الجريح

الستارة:
حبنا عاش.. ولكن أيموت
ونعود
نتلهي بتراب الذكريات؟؟!

4 / 4/ 1969 بغداد

الحملة الخاسرة

ويئز الخطو كالسكين فوق الحجر الباقي من العهد القديم
والأزقة
تنتفح
وتدلى نفسها عبر الشبابيك الأنيقة:
"من هو الماشي هنا في هذه الساعة كاللّصِ!!
وتضحك
يا صديقي
أيها الليل الذي يبرد كالقطة مهموماً حزين
قل لها أين هواي
أين أقماري
وماذا صنعت فيَّ الشجون:
ضحكها أحرق في صدري السنين
يا لهذا الليل ما أثقل صمتَهْ
يتمطي
في دمي كالحزن لا يكسر لي ظُفر شجن
آه يا صفارة الحارسَ من حَّملك الغربة مَنْ؟
ومن ا لخائف كي يُحرسَ من؟
أترى مثلي يحيف؟
نحن في أول أيام الخريف

عدْ إلى معطفك الأسودِ
أخشى من نسيم اليل والبحر عليك

هَمْسُ موسيقى... فمن أين يجيء؟
آه يا قلبي المليء
أتراهم يرقصون؟

ها هنا كل قلاعي
تتصدع
وعلى أرصفة الساحة قلبي يتقطع
يصعد المد عليّ
والحبيبة
صوتها ينبع في صدري ويبقى يتوسَّع
صوتها في هذه الساعة؟ يا للسخرية!!
أنا ذاك العاشقُ الطافح، ولكني هنا الآن أذوب
خجلاً منك، أجوب
أنفق الليل على أرصفة الغربة، أبكي، معذرة

سلمي لي
– حينما تستيقظ الشمس غداً في وجه بغداد الحبيبة
وتفيقين

على كل غريب وغريبة
واكفري بالحلم القاتلِ
موتي ها هنا خلف المسافاتِ فضيلة
سامحيني

21 / 3 / 1970 الكويت

الموت والقش والظهيرة

1 – وانطلقنا نتبارى
ونغني
ونجوم اليل تفاح ضياء
وشذى الرمل بخور والمدى دون انتهاء.
حقلنا عند التلال الساحلية
لم نكن نسمع أصوات الكهوف
فلقد أغلقنا عنها هوانا
ربوة... أخرى... وأخرى... والخيول
كرماح النار تجتاز القفار
بعد لم نلمح على الأفق مناديل النهار

2– ها هنا بعض بقايا مقصلة
أبقت الريح عليها قطرات من دم تلمع في صدر الرمال
وبقايا من عظام عافها سيف الزوال
فترحَّمنا عليها... وانطلقنا من جديد

3– لم نزل نركض.. والفجر أطل
فوقنا تركض أفراس غمام
وزقازيق حمام

وبلغنا من صحارنا... الأخيرة
قد عبرناها أهازيجَ فتية
والضحى كان يطل

4- أتريدون الحقيقة
بعضنا أوشك أن يفقد في الرمل طريقه
ووصلنا في الظهيرة
فأقمنا خيمة من فرح
ونزعنا عندها عبء الطريق
شبخ كان يغاوينا فقطّعنا جذور الشبحِ
وحملنا بأغانيني المحاريث الكبيرة
ومضينا نفتح الباب لأطفال قرانا
آه ما أحلى الظهيرة

5- وإذ انداحت أيادينا القصيرة
تسحب الشمس إلى شط الجزيرة
هزَّنا صوت مخيف من بعيد
مثل حبل من دم خضّ سفينه
كان في شاطئنا الآخر شيخ يطلب الغوث ويبكي:
"أنا أجوف
أنا مملوءٌ بقش وغبار"

كان قطا شاخ في ليل المدينة
فركضنا نحوهُ
نحن المليئون بأرحام سكينة

6- لم أخفّ منه، ولكنّ رفاقي
رنحوا قلبي وضجوا باحتناقِ
نظروا
لم يبصروا روح المسيحِ
بل صليَبهُ
لم يراو كف محمد
عائداً يحمل كالزهر عيونَ الشهداء
لم يروا رأس برومثيوس الموَّرد
يتحدى الموت في درب الفداء
- أي جدوى؟
- ألف جدوى
حينما نكسر أنياب أسانا
قبل أن تنشب في لحم سوانا
أن نلاقي الموت بالورد - بطوله
فلقد ملّ دم الطافين في قيء الرجولة

7- انكروا شمس الظهيرة

فإذا الحب عويل
وإذا الأعين أبواب قبول
والدم الساخن قار ووحولُ
خيلهم صارت خيولاً من تمور أكلوها
وإذا اليأس علامه
حفرتها قطة فوق جباه الشعراء

8- وتطلعتُ إلى أفقى المنَّور
فإذا قبة عطر ومرايا
وإذا حقلي فم فك لجامَه
وشراع أخضر البَوح منشّر
فضحكت
وتفتحت: إلى ألف جهنم
أيها الجوف المليئون بقش وغبار

وانحنيتُ
احفر اللأرض بأسناني وأحلامي الجديدة
افتح الباب لإنسان بلادي
ليرى الله على كل الوهاد
9- لتعش شمس الظهيرة

1964/8/7 بغداد

سيرة من ليس له سيرة

كنا وجيدين ذات ظهيرة، حسين مردان في نعشه وأنا، في قاعة في اتحاد الأدباء العراقيين، في انتظار المشيعين

– الكوفة والماء:

أسير في الماء يا خيلي أعينيني
فخضرة الماء والأسماك تعميني
وكيف أمسك عصفوري وقبضته
تفر في الماء من كفي وفي الطين؟
لتنزلي من ضفاف غير واعدة
فوقع خطو الرحى في النهر يأتيني
وخوضي في قرارات مشوكةٍ
إن التروي صعودَ غيرُ مأمون
الصخر يجرح لكن وهو يجرحنا
يرى بأوجهنا ضحك المجانين
يا كوفة الحلم المطوي كالراية

ـ الكتابة

يا نخلة تحبو على سعفاتها الديدان
والخوف والأحزان

والليل مرميّ عليك، ووجهه يزدانُ
بالقمر المحترق المكسور
لا تنفقي عينيك في الدرب
فإن القادم الحلم يفوت موعدُه
وتنهض الريح وراء السور
وصوتها متكئ في غمده المسحور

ـ الخــوف

من أي بئر جاء هذا الطيف!!
من ذا يسير في الدخان واقفاً يعاند القتامة!!
من يمتطي حصانه!!
تأملي يا نجمة الخيانة
قد طاحت العمامة
وطار من حزامه السيفُ
وفرّت من وراء ظهره الحمامة
ألم أقل
ألم أقل
حان زمان الخوف!

ـ الهجــــرة

يا غراباَ غادر السدرةَ واختار جبيني
ها هو الفارس في النعش ينامُ

وحصاني يعلك السيف ويبكي، والكلام
صاعدٌ في إلى الرأس، أراهُ
مرة، ثم إذا أوغل أبكي، لا أراهُ
يا غراباً
في جناحيه بنى بيتي وجسري
لا تصفق
أنا لن أسقط ميتاً
في انحدارات الفرات
فمع الطحلب والرمل سأمشي
وسأرسي جذري النابض في العشب الموات
فتنقض قبل أن يترل في الماء جبيني
الصحاري لك واللحم الذي جف
ولي سيف حنيني
والخيول الحجرية
وانحدارات الفرات

ـ نبي العشيـــرة

في السماء الصغيرة
خيمتي وجناحي مستسلم للظهيرة
ونبي ممتدٌ ومغطى ببرده والمسيرة
أطفأ الخوف شمسها

فتحفت وخوَضت في العشيرة

ـ المولــد

باسمك اللهم يا مقلي وجهي في البراري
أيها النافخ روحي كالغبار
فوق تيجان النخيل
أيها المودع في ساقي وفي غصني أزدهاري
أيها الرافع ما بيني وبين الفرح المقبلِ في كل اقتتال
قامة الخوف وصوت الانخذالِ

يا مجيري
إنني أبدأ صوتي
كاشفاً عني حجابي
فاتحاً رغم هواء الموت شباكي وبابي
كان ما كان وصاحت عرفات:
فاعلات فاعلات فاعلات
طالعُ مني عمود الصبح وهاجاً ندى الضحكات
يغسل الجند له السيفَ يضيئون فؤاده
ليضيء الشرقات
والعيون المطفآت
حول شطآن الفرات

المكاســـرة

1ـ في انتظار الزوبعة

كاسروني ولم أكن غير برج مهدم وسواق بلا غضب
كاسروني ولم أكن غير طير مشرد في صحارى من العتب
كاسروني وليتهم كاسرول شركة الأسى
في عيون الأحبة المستباحة

2ـ دعوة الخروج

يا قتيلاً مد من خلف إزار القبر كفهْ
يا حمامات جريئات مغيرات على الذنب الذي غادر كهفه
آه يا عشتار يوم انقدت فيك الضغينة
يوم أفرغت الأعاصير على كل مدينة
يا سيوف الزنج يا كل سفينة
ذات يوم جرحت صخر المحاريب الحصينة
آه يا كل شواهين المجاعة
يا عصافير الصباحات الحزينة
والذئاب النائمات
رافقوني
رافقوني

3ـ التخطـــي

أكاسر المآذن اللئيمة
أكاسر الروائح الكريهة المقيمة
في البلد الملعون
فإن هذا الزمن المسكون
يسدّ في وجوهنا مسابح الشواطئ الأمنية
إلى متى
أطير دون مسند
في هذه البحار
لا أحط في سفينة؟؟؟

4ـ وأخيرا

لتنشروا القصيدة
فسادتي
عيونهم تجهل كيف تحمي من خطر القصائد
عينهم تعمي عن الأجنحة المخبأة
وراء جلد كل ما قصيدة
ولم تزل عندهم رهينة
مئذنتي
وزهرة السيكنة
لتنشروا القصيدة

رسالة إلى بويب

أوصلها صديق إلى الشاعر الفقيد وهو يرقد مريضاً في الكويت
ونشرت في الكويت وبغداد أثناء حياته

بُويْبُ (1) ملَّ ضفتيهُ
وجفَ والتوى
منارة الضيا مقفزة
المقبرة
تفك شدقها عليهْ
فتشهق النهار
وتزفرُ الجليدَ والغبار
ومن ظلامها
يهب حارسُ العَدمْ
وخلفه تهبُ تركض الرمم:
"لنطرد النجوم بالحجار
لنطرد النجوم"
ومدَّ ساقه وأغلقَ الطريق
وظل قلبيَ الغريق
هناك في بويب
يصارع الجنون والدوار

سلاله تغصَ بالحجار (2) والجوادُ أشهبُ (3)
مضى قبيل ساعة يجر خطوه الثقيل
يجرّه ولا غناء لا صهيل
يخط بالحوافز الرمال:
"مضى الزمان لن يلوحُ كوكبُ" (4)
فتصرخ التلالُ:
"بويب ... بويب ..."
وتسكت التلال
فمن يغيثها...؟
بويب متعب
نخيله انطفأ
فتاة لم يعد يسدَ في ضفافه الظما
ويغسل الصخور بالزَّهَر
هنالك انكفأ
تكسرت على الصخور كفهُ
ولم يزل يصيح وهو يُحتضر:

"مطر
مطر
مطر" (5)

وليس يقبل المطر
ولا الجريح يستريح
يئن، آهة فآهة يغيب في بيادر الضبابْ
يمد كفه: فكلُ أصبح شبحا
يصبح:
– ومن نوافذ البيوت والسطوحْ
يلوح منجل من الدخان يهربُ
"أأنت يا بويب... أنت تهرب؟"
وينحب الجريح في ذهول:
"بويب متعبُ
فأين.. أين تهربُ..؟"

12 / 2 / 1964 بغداد

---

(1) بويب: النهر الذي رمز به السياب، هو في قرة (جيكور).

(2) يقول السياب في قصيدة (مدينة بلا مطر): وسار صغار بابل يحملون سلاسل صبار وفاكهة من الفخار قرباناً لعشتار.

(3) على جواد الحلم الأشهب أسرى الشاعر السياب إلى جيكور (قريته)، وعلى نفس الجواد يخرج منها قي قصيدتي.

(4) في قصيدة (العودة) لجيكور كان السياب يبحث في الآفاق عن كوكب كما كان المجوس يبحثون ليعرفوا أن المسيح قد ولد.

(5) إحالة إلى قصيدة (أنشودة المطر).

بدر شاكر السياب

ألقيت في حفل تأبينه في جمعية المؤلفين والكتاب العراقيين

– "من أيما رئة من أي قيثار
تنهل أشعاري" (1)؟

– من هدأة النار
والريح في قلبك
أنسدّ بالحزن أم أطوي على حبك؟
غلت عصاك بقلبي مثل مسمار
ينغلّ في لوح
يا مبحراً في الدجى الشاتي إلى الصبح
ينمدّ بين قباب النخل كالرمح
كالحائط الناري
يسري ولا مقلة في اليل تؤنسه ألا ومبتله
بالرعب والطين، والأشباح منسلله
في كل معطف، في الريخ مقبلة يا أي إقبال
يعدو وفي كفه من دمه سله:
من يشتري غُمُري القاسي وأوصالي؟
جيكور يغرب في أكواخها النورُ

سدَت بوجهي طريقي نحوها الغيلان
والدودُ والأحزان
با نخلُ يا شركا يصطاد أشاعري
الموت ممتشق سيفاً من القار
من خلف جيكور
من يفتدي – غيري –
ما ظل من شجر في ليلها الهاري؟
نامت وأيقظها خفق على الباب
الريح في الباب أم أقدام جواب
(من ذا...؟) وتسكتها كفَ مترَبة
فيها بقية أشواك وأنياب
هذا أنا ..لم أدع في الناس من سبب
لم أقتحمه، وشحَّت كل أســـبابي
أسريتُ (2) عبر تلال النار فاحترقت
أثوابي الخضرُ لم أحفل بأثوابي
ما كنا عنديَ غير الحب فانحرفت
عني العيون ولم أمهل على باب
النجم في شفتي لَّما أجدْ شفة
إلا مطينة هَـــــــــوي بأكوابي
تلك السنون التي بعثرتها فرُطاً
هذي عضارتها: صاباً على صاب

– "من رقدة الموت كم مصّ الدماء بها
دود ومدّ بساط الثلج ديجورُ"
"ـــني سأشفي سأنسى كلَّ ما جرحا
قلبي وعرى عظامي فهي راعشة واليل مقرور
وسوف أمشي إلى جيكور ذات ضحى" (3)
– تشفي... ومم؟ ألن تلقاك أوجهنا
الأوجهُ السودُ؟
حتى الهواءُ وحتى ماؤنا دودُ
– "وسوف أمشى إلى جيكور ذات ضحى"
– قد عدتّ لكن عدت منكسراً
كالرمح كالناب
قد عدت يا (بدر) صندوقاً بلا بابِ
فأترك لنا أن نناجي ميت الحجرِ:
– "جيكور مدّي غشاء الظل والزهرِ
سدّس به باب أفكاري لأنساها" (4)

– جيكور؟ مدت غشاء الشوكِ والصخر
سدت به باب دنيانا لننساها
يا فارس المطرِ

25/ 4 / 1964 بغداد

(1) من قصيدة (بور سعيد) _ ديوان أنشودة المطر.

(2) قصيدة (العودة إلى جيكور) _ ديوان (أنشودة المطر):

على جواد الحلم الأشهب

أسريت عبر التلال

أهرب منها من ذراها الطوال))

(3) المقطع الرابع من (سفر أيوب) – ديوان (مترل الأفنان).

(4) قصيدة (أفياء جيكور) _ ديوان (المعبد العريق).

المـــرور

يحمل الجرّة في كلتا يديهِ
ويدور
ويدور
والصبايا حوله يرقصن يشربن ويضحكن ويلقين عليهِ
حلم البحر الذي لم يتحرر
يصعد المدُّ بعينيه فيصطاد المهارة
ويدور
ويدور
وغبار القدم الصلد على ظهر التراب
يتوالد
ويدور
والشبابيك تطلّ
والمزامير تطلّ
والنجوم البيض تلتمُّ، وإذ يأسرها الطفل المغنّي
تتساقط
فيصيح
ويدور
وتدور

لم يكن يخشى اندفاع المركبة
أحكم القوس على سهم القصيدة
وأثار الزوبعة
فاستدارت سقطت فيه، لماذا الزوبعة!؟
نبت الحزن، فعاد
لطم الجرّة بالصخر وفكّ الأجنحة
والنجومُ البيض فرّت غضباً، حتى الصبايا هربت منه
رمى الحلمَ الذي لم يتحرَّرْ
وأعاد المدّ... جزرا
والمهارة
ردّها
وأخيراً:
ها هو الآن صديق الأشرعة
يتبارى وحده، يقذف بئر الانتظار
بحجارات الغواية
ويغني
للشبابيك المطلاّت عليهِ
ويدور ويدور

بغداد 21 /6 / 1971

كل شيء يتغير

وجهك الضاحك للشمس كما يضحك للشمس غدير
والعصافير التي يحملها صوتكِ في الصبح إلىَ
عطرك النازل في صدري نبيذاً وحريرا
والضحى البازغ في دنياي إذ تشرق عيناك عليّ
أتراها ستظل؟؟

إننا أخشى من الآتي.. أراهُ
ها هنا فيكِ يجيء:
قمري يصبح خيطاً باهتاً ثم تلوّيهِ جباهُ العابرين
فرحي المشتعلُ.. يخفّ
والمواعيد تجفّ
أيَّ شيء ستبقى هذه الدنيا لقلبي أيَّ شيء
أتحسّين خطى الحزنِ الذي ينمو وئيداً في فؤادينا.. فكيف..
ومتى نرجع نهرين – كما كنّا – من الحب
يطيران معا كل صباح
ويعودان معاً كل مساء؟
ومتى نشكو من الرهبة لو حان لقاء؟
ومتى نشكو من الرهبة لو حان وداع؟

آه يا نجمة دنياي الوحيدة

كلُّ شيء يتغير

..... يتغير

بغداد 10 / 3 / 1975

فــرح

حينما يمتلئ القلب غناء
يصبح العالم أخضر
تصبح الضحكة أكبر
وخيوط النور في البحر تغني تتبخر
والعيون
كالشبابيك التي تفتح في ذات صباح
فيهب المطر الأخضر منها ويغّني

حينما يمتلئ القلب غناء
تصبح الساعة أقصر
والحكايا ورنين الضحكات
كل ما في العالم الواسع منها ليس يكفي
كل ما في العالم الواسع منها ليس يكفي
هل ترين...
لم أجد قلبي كبيراً ونقياً
يسع الدنيا كما صار بك اليوم نبيا
إنني أبحر في
وجهك..
في صوتك..

في هذا المساء

1969 / 4 / 3

حوار مع الأقنعـة

تعبت يدي من الطواف على جباه الميتين
وعلى أكف الميتن
ماذا يراد من المتفَّح مثل زنبقة على صدأ الصخور
يترقب الزمن الضنين؟!
أصوات صيادين تقحَمُ في تفرديَ السكون
وتشم أجنحتي
فيرعبها النفور
لكنها مني إليّ تفرُّ
ثم تغوص – توغل – في الجذور
الغوث في دميَ المغول
من كل ذي شغفٍ بأن يطأ المواسم والفصول
في كل منعطفٍ في كل رابيةٍ
جندي وألويتي من دون أخبـــــــــار
النار صاخبة والريخ صاخبة
والطير يصرخ: ولَي أمسك الهـــــــاري
لا تذهبوا إخوتي لما يزل غدنا
في قبضة من تراب غير معطـــــــــار
الخوف ما زال والغربان ما برحت
تنسل نابحـــــة من حول أقمـــــــاري

إن العيون التي شاخت مزنجرةَ

دقوا بها من هوانا ألف مســـــــــمار

ماذا يقال

عن وجهيَ الباقي كسارية يواجه وحده لفح السؤال

بعيون أجيال ستأتي في غدٍ

ماذا يقال؟!

ذهب الرجال

وبقيت مثل السيف ألهث في الرمال

قدماي مبخرتان زادهما جميع دمم الرجال

وجماجم الماضين.. خاوية، ولكني محال

إن أطعم الخاوين أو أروي كلاب الصيد..

أو أحني على علفي البغال

نحن الذين وقفنا صخـــرة ربطت

فيها برومثيوس أرباب من الطيـــن

بل نحن من صنَع الأربابَ حاقدة

سيان من لجَ.. من دين إلى دين

آه برومثيوس لا تغضب فما لبثت

أقباس نارك في بعض المجـــــــــانين

ينتاشها صيّب الأرباب، يحرقها

حينا.. وتكبر في باقي الأحاييـــــــن

لا تبتأس فهنا باقون أحصنة
شمساء.. مغلقة دربَ الشياطيـــــــن
دار الزمان
– وتدور أزمنة المخاوف والتطاول والتشبث بالأمان –
مر الزمانُ بكل ذي أسف على مرّ الزمان
راياتهم.. وخيولهم.. وقلاعهم.
آن الأوان
ليكفّ عن غده المعائدُ كلَ أتربة الهوان
ويظلْ منشوراً يسائل عن زمان
ويظل منشوراً يسائل عن مكان
إذ لا مكان
أبداً يلم جموحه، إذ لا زمان
ماذا أقدم: أشعاراً وأخيـــــــلة؟!
إن القرابين جوعى للقرابيـــــــن
ماذا تعيدين.. والمرثيُّ ما برحـــــت
رجـــــلاه موثقة بالقش والطيـــــــن
في قبره ؟! وأسمعي.. ترتجُ باردة
أوصـــــاله، وتراب في الشراييـــــــن
شارته ذهبت من بعـــــده علفا
للدود وازدهرت كل النيـــــــــشين
عطشان ما زال: لا دّرٌ ولا مطرّ

جوعـــــان ما زال، جـــــودي يا قـــــرابيني

في كل خابية الدنان
إذ نلتقي
لا نستطيع الصبر حين يعض أوجهنا الدخان
تفتحت في جدار الموج ساخرة

بوابة من عويل مرّغ الشفقا
ثم اشرأبَّت خلال الموج عاهرة
تمد حبلَ سعالٍ بعثر الألقا

بقبضتين كبابي معبد خَرب
خضّت عرائشنا: ما نام أو أرقا
وصوَّتت: أيها الغرقى وما عرفوا
تناثروا فُرُطا في الرمل منسحقا
فصحتُ، لا يا عباب الرمل قد تعبت
رياحك السود والشطـــَّان ما غرقا
قالوا: ستسقطك الرياح
يوما وتأكلك الرياح
ماذا أقول وكل أمتعتي وقافلتي: الرياح!!
سأظل أعبر بالجناح إلى الجناح

وأطير من فوق الهياكل والمرافئ والبطاح
لا أسأل الزمن المهشم أن يلهم لي الجراح
بل أن يجر يديه عني _ آه ما أغلى أساي!!
ولينتفض غضبا عليّ – إذا تنبه لي – سواي
فعلى هواي أسواق أجنحتي
وآكل من لحوم الهاربينَ...
على هواي.

1970 / 6 / 25
الكويت

كتابة القراءة

أنام إذ أنام فوق صفحة الكتابِ
كأنني أغيب في شعابِ
في ليلةٍ قمراءَ كالعروس كالشهابِ
أضمّها

إلى متى
أنام فوق صفحة الكتابِ
أطيرُ في فضائها
وأغتدي في أفقها
حمامة... سحابة
وأمسح الضبابة
من ورق الشعر الذي يسبح في النوافذِ النديّة
على مياه المطر المنسابة
وإذ يندّ في دمي
صوتٌ من الحنين كاد ينمحي
أفيق كي أغرق في نهرِ من الكآبة!؟

إلى متى!
يا شجر الناس الذي يأكلني

ولا أجيد في قتال جوعه الكتابة ؟!

نم في ســـلام

يا من تصيك هذه الشمس الحزينة بالدوار
يا من تلوب وراء ظلك في انتظار
عبرت من الخلف الجموع وبقيتَ منكسراً على كرسيك المحني تحلم بالنهار
سقطت وزنجرت السيوف
والصبح عفنه الرواة بشعرهم والذكريات
والسادة المتأنقون غدٌ موات
والخصم يكبر ساعة من بعد ساعة
ويداك باردتان والدم في عروقك إذ يفور
يلتمّ بعد هنيهة ويعود يبرد في الجذور

ماذا ستحلم فيه بعد أن استفقت على الدمار؟
السادة المتأنقون يرمّمون لك الجدار
لن يحرسوك به، ولكن يحبسون به بقية عنفوانك
لتعود قبرة ترفرف وحدها في بطن غار
وتعود تبرد مثلهم في بطن غار

الشعر سلوتك الوحيدةُ، فلتمدَّ من المساء إلى المساء

جسراً من الشعر المبلل بالدموع
الشعر صهوتك الوحيدة سيفك الباقي
فحارب من تشاء متى تشاء
ولتهدم الطاغوت والقلوع
ولتطعم الجرحى قصائد، غير أنك لن ترى وجه السماء
ترغي وتزيد مثلَهم في بطن غار

المنهكون على غرارك يملأون والدم كالجليد
عبر الدروب
أبشر فلستَ هو الوحيد
فعلامَ تحرق نفسك الثكلى وفيم إذن تلوب؟!!
السادة المتأنقون سيطعمونك ما تشاء
وسيلبسونك ما تشاء
لو عدت تؤمن بالقناعة
لو من خيالك تستريح
نم في سلام
والسادة المتأنقون يرممون لك الجدار
كي يحرسوك من النهار
نم أيها الموعود... نم
نم في سلام

بغداد **1967 / 8 / 31**

الزرقة الآتيــة

في غد يصبح هذا الوهج الأحمر أزرق
والرياح الطافحات
في غد تصبح زرقاء بطيئة
والجبين الساخن الآن سيمسي في غدٍ
مثل الصخور الجبلية
سأقضي يومها كل الظهيرة
في فراشي
وإذا ما يُقبل الليل سآوي
مثل ديك خرب أول ساعات المساء
في غد أضحك في صمت بحرقة
للعصافير التي تهرب من كل شباكِ الشرفات
ومن القبو الذي يمطر زرقة
وتغني من بعيد
ساخراتِ من خيالي المستريح
أنا أدري أيها العام الثلاثون الجريء
إنني أجرح بالحزن الذي يمتد كالعشب البطيء
شمسك البازغة الآن جريئة
أنني أعرف، لكن معذرة
فأكف الضجر الزرقُ التي تُمطر في قلبي زرقة

واقفات بين كفي وشبابيك النهاية
فاتركوا صوتي الحزين
يا رفاقي
واخرجوا دوني إلى الشمس
خذوها

إنني أسقط في البئر، دعوني
وودعاً يا خيالاتي الجريئة
أيها العام الثلاثون وداعاً

وسألقاك غداً
ذات صباح أو مساء
زائراً مستعجلاً يشعل في قشرة قلبي الصبوات
ويغيب
وسأبكي

1970 / 8 / 13

دمشق

الشمس.. والحزن.. والمطار

فزّ في شراييني القطا النائم، صاح المتعبون
خذ لك الآن وسادة
والتقط من بيتك الهاوي – قبيل الصبح – خيمة
سيكون الموسم الآتي جفافاً وبكاء وفرارا

ثم كوّمت رماحي
ومراياتي وصوتي في الحقيبة
ومضيتُ
غير أني أبصر الآن بعينيك المزارات الحبيبة
أنت من خلف زجاج الانتظار
كل ناري
كل وجهي وديارِي
وأنا أرفع كفي بالوداع
فوق عينيَّ ضبابة
آه من ظل الضبابة
وخلال البسمة الغرقى تهاوت كل أبواب المطار
سقط الثلج وغطاني الغبار
حمل الطير جناحيه وطار
الحمامة

ودّعت قبل الأوان
بيتها الدافئَ ضاعت
في بحار من دخان
وهنا والعشب لا يسمع صوتي
صحت: يا وقت الرحيل
إنني أصبحت خيلاً وسيوفاً وأعاصير تنادي
يا لثارات القتيل
وتسابقتُ إلى باب المدينة
ثم ألقيت عصاك
خطرت في البال عيناك
ورفت شفتاك
في طريقي

ثم ردتني يداك
صرتَ ما بيني وبين اللص والأفعى جدار
فتناولت العباءة
مرة أخرى تغربتُ
وعيناك مضاءة
ببريق لا يرد

رسالة من.... إلى

آه يا نجمة إسرائي الحزينة
وصلتني منك أخبار حزينة
صبها في غصةِ الدمع التي كانت على باب عيوني
طائر مثلي طريد:
كانت الساعة خمساً... والأصيل
كان مشغولاً بأصوات العصافير الطليقة
وبأحداق الصبايا
والمرايا
وبأبواق تغني لعروس وعريس
قال لي
كلُ الشبابيك غليقة
والمفاتيح تدور
في ليالي الوطن المسجون في الخوف وراءك
قال: والحراس في كل استدارة
كالطواويس بأحلام صغيرات مثارة
يتفقون الخطى العجلى على ظهر الرصيف
والإذاعة
وحدها تذرع من بعدك صمت الحجرات
بزغاريد لأعراس يقولون ستأتي

قال لي، ثم مضى يمسح بالمنديل جفينه، استدار
خجلاً.. حزناً.. وذلاً، والدوار
هبّ يا نجمة إسرائيل البعيدة
قتناولت جريدة
خبَّأت عينيه عني، والقصيدة
بدأت تنزل في لحمي خيوطاً من غبار
ها هو الآن يسافر
وأنا وحدي على طاولتي أرسم بيتاً
وثعابين
وسكيناً كبيرة
ومراجيح وأقمارا كثيرة
زأغمغم....
"قذر أنت قذر
يا زمان الخربين"

هدية العام الجديد

أوقفوها
هذه الريح التي تنفخ رأسي
إخوتي راحوا.. فمن يشركني الليلة كأسي!!
يكبر الحزن وعام يولد الساعةَ لكني وحيد
أتلهى بالكتابة
أقطع الليل مع الشعر الذي تذور الكآبة
ومضَهُ الكابي كأوراق الخريف
تُقرع الأجراس والصبية يلتمّون في منزل جاري
والمذيعون... المذيعون.... ألا ليت جداري
يطرد العالم عني
يوقف الزحف الجرادي المخيف
عن كتاب العمُر البالي وعن عمْر سواي
في الصباح الباكر اليوم أفقتُ
شبك الصيد على الحائط مركومّ
وفي الركن تشيخ البندقية
وجوادي جائع يغسل فوْديه بأنهار الجليد
عاريَ الظهر على بوابة العام الجديد
آه لو أن الفتى صخر ولو أن الجواد
حجرّ!!

ذُقّت نواقيس المدينة
أُطفئَ النور وغطى العالَمَ الآن السواد
ويمر العام لا أسمع خطوَهْ
مثلما مر سواهُ
غير أني ساهر أغسل بالشعر الفؤاد
فعلى الشعر أعيش
أتحدى العالم الطافي على وجه البحيرة
أقهر الحزن الذي ينهمر الآن على كل وصيد

فتحياتّي لمن يحتفل الليلة مثلي

24 / 12 / 1966 بغداد

الريح التي لا تسر

أيْ شبابيكي القديمة
أترى ما زلت جذلى وهنية!!
كان في ودّيَ لو ألبث فيكِ
أتاهي بالخيالات، كما كنت، ولو أحلم فيكِ
يا شبابيكي القديمة
صرت لا أحلم بالنجم، تعبتُ
وبقايا ذكرياتي
لم تعد وهاجة.. آه.. ولم تبقَ طريَّة
والعيون العسلية
أصبحت شيئاً زهيداً في حياتي
صرت لا أضحك من قلبي
ولا أشرب إلا حين أعطش
أجعل الساعة تسعين دقيقة
لا أسمي الشيء باسمِهَّ
أتخفَّى بضبابات من الشعر عميقة
صرت لا أسهر إلا في الظهيرة
وإذا ما يقبل الليل أجف
فلتجفّي يا شبابيكي القديمة
وليدفيك الغبار

مثلما يهطل في صدري الغبار

1966/ 3/ 11

بغداد

رسالة إلى الوطن

منذ أحببتُ يديكْ
وجبينَك
وعيونك
منذ أن هُمتُ لديك
وأنا أبصر جرحي وأراك

قدماك
يا حبيبي
تستريحان بشباكي وبابي
وعلى صوتي وشوقي وشبابي
فمتى ترفع رجلك؟
كلما أوشكتُ أن أهرب منك
وأداري دمعيَ الثائر عنك
تتلقاني يداك
وتغطي قدماك
شفتي، ثم أراك
وأرى مجدي فيك
يا حبيبي قدماك
أينما رحت ورائي

في ضحى مكة غطت لي سمائي
وعلى أبراج بابل
في شواطئ إسكندرية
في مقاصير الجواري وبطانات الرشيد
وانكفاءات الخيول الأموية
وجوار المسجد الأقصى رأتني
هارباً منك، وفي المقبرة انهارت مع الصخر عليَ
آه لو تصحو على ظلمك فيَ

يا حبيبي
أنا أحببتك لي باب ضحى تعبره الشمس إلى سجني العصيّ
وجناحاً كلما ضاقت بي الدنيا أطير
وغناء كلما أمطرت الدنيا عويلا
ويداً أكثرَ من كل يدٍ رفقاً وطولاً
وسماءَ خرجت من ليلة النكبة زرقاء صبية
ونسيماتٍ طروبات غنيات نقية
أنا أحببتك.. أعطيتك حتى كبريائي
كلَّ هذا العمر لم أرفع يديك
أبداً عن مقلتيّْ
وتصبّرتُ عليك
كل هذا العمر.. لكن..

هاك ما أعطيتني يوماً

هواءك

وأغانيك وماءك

وإلى ألف جهنم

أنت والحب وأحلامي الغبية

إنني أصحو ولا موطن لي غير أساي

أيها الوالغ في كل دماي

مروحتان

صوتها حين يجيء

مطر يتزل في الصبح خفيفاً ويضئ

صوتها

قنطرةُ خضراء حتى زهرها المتعب في الحر يفيء

والبريق

والأسى في عينها مروحتان

حينما يلتهب القلب ترشان عليه الأقحوان

صوتها يوقظ في لحمي نداء الخفقان

يدها – حين تمر –

بيدي عاجلة خوف العيون

ذات صبح أو مساء

زهرة تسقط في بركة ماء

بلد يفتح بابا لغريب سار أعواماً على رمل القفار

راية بيضاء تهوي من جناحي طائرة

صوتها بيتي الأمين

صوتها الناري دربي نحو شطآن الولادة

صوتها طاولة تفرش في ظل بحيرة

بالمناديل النقية

والكؤوس البيض والزهر انتظاراً للمساء

صوتها الآن كتابي

وهو شباكي وبابي

والجسور

والنسيمات التي تغسل قلبي وغناي

يا نداء العطش المر توقف فالليالي الآتيات

أبداً ضاحكة مقبلة نحوي

خديها يا يدي

وتمطَي أنت يا سنبلة القمح النبي

فلقد آن الأوان

لأرى فيك طريقي وهوا صدري وصيحاتي وريقي

آه يا ويح الأوان

النهر الذي لم يتوقف

إلى "نصير"

كانْ جبينه الشمسيَّ ما طلعا

كأن جفونه المغروقات بدمعه لم تعرف الولعا

كأن يديه لم تترك على صدري

وفي شفتي وفي الرقبة

خيوطاً مثلما الحناء لا تمحي

كأن عيونه لم تسكن الشباك والأبواب

وتسألْ عن هداياه

كأني ما زرعت ولا حصدت لأجله الصبحا

كأن غناءه الأحلى من الطير

ومن نور الضحى والزهر والأنهار ما انزرعا

على عمري!!

أهذا كلُّه ينأى سريعاً ثم يسقط في خيالاتي؟؟

وكيف بقيت لم أسقط من التعب

ولم أسقط من الغضبِ؟؟

حنيني في دمي هذه الغربة

مخالب طائر وحشية تنقض جائعة على روحي

إذا ما نمت أو طوّقت من أرقى مع الريحِ

فكيف خرجت لم أمنح أظافره وأسنانه

لآخر مرة شفتي.. جبيني.. ساعدي.. الرقبة؟؟

حبيبي صبحّي الأجمل

أبوي يديك لا تزعل

فإن مزارع الصبير لم ترحم

وأني مثلما تعلم

إذا داس الهواء معابري تُهدم

لأني كنت لم أفتح عيوني فيك للآخر

فلا ترقب على الشباك قافلتي ولا تغتم

تعلم: هكذا يتهدم الإنسان حين يعاقر الدنيا

ويمنحها انتظاراتِهْ

فلا تسقط بآبار الهوى

وأضحك ولا تحلم

وكن إبراً، إذا عوفيت، لا ترحم

تحرر من حنينك، لا تخف شيئاً سوى خوفك

ولا تسبح سوى في أول اللجنة

– لأن زوارق الحلوى تذوبُ –

وركب الدنيا على أنفك

أحبك لي يداً أقوى من الطغيان بل أجلد

لأنك حبي الأوحد

العودة اليابسة

منذ أجيال وما زلت مع السرب المسافر

من طيور الصبح، في كل انحناءة

وعلى كل امتدادة

في صحاري أمسيَ المنفق في الرمل السواقي والمنائر

تركض الأعين خلفي

تعطش الأعين خلفي

وأنا أحمل في صدريَ أبنائي البعيدين مرايا

أتحدى بهم الريح التي تأكل حزني وهوايا

منذ أجيال مسافر

درعَي الدهشة... والدهشة رمحي ونداياً

آه لو كنتُ كما كان سوايا

شجراً يهرم في ماء البحيرات وحيداً

ينفق الساعات لا يسمع إلا حسراتهْ

أنا لولا صوتها الباسط كفيه على كل حشايا

لتنفَّختُ بما ينبع في صدريَ من خوف المسافاتِ الطوال

لا تدعني أتدفى بجليد الذكريات

أيها القلب الذي يحتطب الساعة فالساعة من غابات أمسه

قُبلاً مطفأة الرغبة هشَّة

وصبايا كالفوانيس التي أطفأها الماء

وأكوام رماد في المواقد

وبقايا من نفايات وأوراق جرائد

ويداً تنفض في الفجر أكفّ الأصدقاء:

"أتعودون غداً.. ألف سلامة"

ورياح الصبح لا تعرف وجهي

ووجوه الأصدقاء

زمن العودة قد حان ولكن جوادي

لم يزل مستلقياً في بركة الظل... وما زلت أنادي

ثم لا أسمع إلا صوتي العائد: شعراً وصحاري ذكريات

أيها القلب الذي يهبط كالنسر بأعماقي صباحاً ومساء

أتلوّى

أتدحرج

في دهاليز التواريخ التي تلهث خلفي

وتعريني أمام الثلج والريحِ...

فمن لي...

أيها القلب سواك!!

عفو أبنائي البعيدين إذا كنت تصبَّبتُ شكاوي

فهنا الشكوى مصير.. قدرٌ لن نغلبَهُ

فسلاماً

1967 / 4 / 9

بغداد

أقمار العيون المهاجرة

قمار الليلة أصفر

وجهيَ الراكد في العشب المدلَى في الشبابيكِ

هنا الساعة

أصفر

ويداي

والقصيدة.

دون سور بيتيَ الهامدُ

والليل طويل

لم أضع نوراً على بوابةِ البئر

وقد يقبل حبي

ولم الخوفُ...؟ لمن تقرع أجراس المدينة؟!!

يا رياح القمر الأصفر كُفي ودعيني

يَبرد الليل بقلبي

منذ ساعاتِ طويلة

وينسّيني بكِ الضوءَ الذي أمسِ شربتُهُ

من يديها

يبرد الليل فألتمُ على صورةِ عينيها وحيداَ

كيف لم أشرب إلى الآنَ

سوى الضوءِ الضي يسكب أصفر

كيف والليلة عيد؟؟

أتراها هذه الساعة: ثغراً وجبيناً وجديلة

رغم هذا القمر الأصفر خضراءَ

يداها بندي العشب الربيعي بليلة

وتدفي وجنتيها

بقناديل الفرح؟؟

ليتها لا تعرف الحزن الذي يهطل في صدري

هنا الآن.. وئيداً

بلغيها يا رياح القمر الأصفر.. فالليلة عيد

الموت حـق

قمري ظل رائي

ولقد كان يجيء

كل صبح ومساءِ

من شبابيك الضريح

وينام

والجريدة

فوق صدري وأنام

والإذاعة

وحدها تسهر لا تسمع إلا صوتَها الصوتَ المرائي

منذ أن حّملني الشعر بصخر الغربة القاسي الثقيل

وأنا أطلق في كل فضاءِ

كل ما أملك في صدري من الشوقِ

من الزهر

أنادي الشجر المّيتَ:

من يرفع صوتي

ويعدّيه بحور النمل والحمّى إلى عرش النبي...؟

يا سمائي

لست أدري كيف لم يقتل صبايايَ بكائي...؟

كذبٌ كل نداء

ورديء بيت كل الفقراء

أي جسر صامد أقوى من الموتِ

هو الجسر الذي يركبه هذا الوباء؟؟

العيون

خلفَ هذا السور لا تُبصر، والآذان لا تسمعُ

الكل يموت

خَدَرا..

حتى الذي أفلت من بين خيوط العنكبوت

يا عيون الشجر المحكوم باليتم الغبي

لا تليني

ودعيني

فلأذقْ ما يُطعم الآن رفاقي

وأحباي الرهائن

ودعيني أتوحد

مع كل الشهداء

آه أين ..

أين يا مقبرة الزنج أنام

يا عظام القرمطي

أين أستلقي قليلاً، والظلام

هابط كالغول من كل سماء

أين أستلقي...

وهل أبقى لها هذا الوباء

رملة نغرق فيها بسكون

دون أن يسبق موتانا إليها..!!

يا لهذا الشجر القاتل كم عمّر فينا!!

فعلى أغصانه كنا ولدنا

وعلى أغصانه سوف نموت

آه سبحان الذي ليس يموت

قصيدة رثاء

دعي كفيك ينغرزان في عنُقي

وفي شَعري وفي صدري.. ولا تحشيْ من الرَّهقِ

لأشعر أنني أحيا

كأحلام الطفولة أشرقت أحلى أمانينا

وكالأوهام طيَّرنا جنون الريح.. كالرؤيا

وخلَّف في مآفينا جراحا ليتها تبقى مدى العُمُرِ

نفاخر دهونا بندوبها

ذكرى تصحّينا

إذا أغفت لياليا

وبعثرنا زمان البعد في دنيا من الحجرِ

عجبتُ لمدية السهرِ

فكيف تجوب عينيكِ

ولا تشكو وتحترق؟!

وقد لامستُ جفنيكِ

فأحرقني بعطرهما صباحٌ ليته ما مرَّ..

يا من صبحها عبقُ

حنانك واعذريني الأشواك إذا غاصت بجنبيكِ

فنحن بغير هذا الحزن لم نحكم ولن نحيا

هنا وسريري المبتلُّ بالآهات والأرقِ

وجرح في الجبين وساعدي ما عاد يحميني

ذكرتك زهرة تختضّ من حين إلى حينِ

وترسل أنه عبر البراري والبساتينِ

وتترل في دمي سوطاً

إذا ما نمت يجلدني

يصحيني

لأطلب عفو عينيك

ألا ليت ما يبكيك يترَع منك يُزرعُ في شراييني

لتغفو ساعة عيناك.. لو أقوى

يميناً لامتطيت الريح رغم الريح والظلمة

وجئت أطلّ من شباك غرفتك الشتائية

لانفض فوق جفينكِ

تحياتي.. وأعذاري.. وأشواقي

وألعن هذه الغربة

1969 / 10 / 30

بغداد

رسالة

حامل السر إذا ما فضه في الحلم يوما أيلامُ

قبل أن يعرف ما طعم الهوى المرّ الأنامُ

خبأوا وجهك في قلبي وناموا

وأقاموا

في ليالَيَّ من السمع الذي يسرق حتى ما تخبّيه العظامُ

ثم إذ أوغل في القلب الهيامُ

بالذي يأتي ولا يأتي

تمطى في عروق الحلم ثلج وركام

وإذا بي

أقطع العمر انتظاراً لهوى يبزغ والناس نيامُ

ربما ينفع من يغرق في البحر سؤالٌ:

أين يرسو في غدٍ منه الحطام!

الهوى العادل:

عينان كعينيك: احترازٌ وانتظار واعتصامُ

ليس يكفي أن يقول المرءُ أني مستهامُ

فالهوى صمت ونارٌ لا يُرى منها ضرام

أترى ألمس يوماً، مرة أخرى

بكفي شعرها الضاحك يا شمس البراري

أم ترى لمس الذي أهوى حرامُ!!

كل ما مر من العمر حطامُ

كل ما مر من الضوء دخان وقتامُ

كل ما أبصرت من قبلكِ عمر ضاع، يستعبدني فيه الكلامُ

يا هوى أبصرته كالُحلْمِ

قد يأتي

وقد لا

واللقا فيه لمام

حامل عينيك في قلبي

فهل يحجب عينيك عن القلب لثام!!

حينما يأسرنا وجهٌ ويسبينا قوام

نحن من أعطاهم الشعر عيوناً لا تنامْ

يصبح الوصلُ ارتقاباً

مثلما يرتقب الشهرَ الإمام

فإذا لاح هلالاً فهمو آخر من يشغله البدر التمامُ

أترى سوف تحسين الذي أيقض شعري

بعد أن سد سواقيه الزحام؟

ربما سوف تحسين، ولكن

لو مضى وجهك برقا ثم أخفاه الغمام

قدمي ماءْ وقلبي لا يُضام

قد تعوَدت الهوى العابرَ

يا فجراً إذا مر سريعاً

فزماني كلُه ليلُ وأشواقي كلامُ

مطارحة

إلى نصير أيضا

غداً إذ ترقص الأسنام والسعفُ

وتلتمُ العصافيرُ

على شبّاكه الباقي يفتّحه انتظار الصبح.. والشغفُ

وحين تسيل فوق جبينه الشمسُ

سينثر نفسه، لكن على أجفانه لن يبرح الأمسُ

"إذن يا صيحة المذبوح لن تحنو المقاديرُ

وأن أبي مضى كالطيف، ليس القادر العائد

ولا الباقي برغم الجوع والغربة

يعائد ريح هذا العالم الجاري ولا يقف"

ويسقط سعفة صفراء ترتجفُ

فقد ضاع الذي أسرى

ولن يأتي ولو جسداً من الذكرى

بصندوق من الخشبِ

ويحرقُ صدرهُ الأسفُ

فلن يجدي مع الدنيا ولو دهر من العتبِ

سيغرق بالدموع ويلعن السفرا

ويعرف أن ليل الحزن قد أقبل

يساقي أهله الأموات لا مطرا

ولكن رملَه الأسود

ويسفح نفسه في صدره المجهد

أحن اليكَ يا إشراقة الرحمة

ألستَ ضحاي في الأقسى من الظلمة؟؟

ولكني آه من ليلي

فلا شفة ولا نجمة

ولا دمع لديَّ وكان كالغيمة

فدُسْ يا مهريَ المحكوم بالُيتمِ

على صوري وأِعاري

وما رسمتْ من الوهم

خيالاتي وأسفاري

فلن... أرجع

1971 / 7 / 8

الكويت

وماذا بعد....؟

لست وحدي فالغيار

طالع يلمع في كل جدار

والنهار

يتدلى ميتاً فوق نهار

والحمامات الجريئة

أول القتلى لدينا والديار

كلها تحرف أو تُنسف من فوق الصغار

والعيون

واقفات في العيون

تلتقي فينا جميع الطرقات

ولقد أخبرتكم أن الرماح

تتمطى

ورويداً فرويداً ترتدي اللحم الموات

والرياح

لم تعد تقبل من نهر الصباح

هكذا تسقط في الطين الكؤوس الذهبية

وينام الطائر الأخضر في ثلج البحيرات القصّية

والملاك

لم أنم يوماً هنا إلا أمامي

وورائي

نخلة الأمسِ الحبيسة

ومسائي

ها هنا – ويح مسائي –

دمي الطافر من جلد يديّ

وصباحي

صوتي الطالع من قبري الذي أحمل في

صدري الطري

يا شبابيك الفنادق

أنا في الشارع كالثلج على الصخر أذوب

منفقاً طهر النبيين وعهر القتلة

وإشارات المرور

تتلهّى بي.. ولحم الأرصفة

زادي الآنا

فتعال

أيها البيت الذي ظل ورائي

إنني أنتفخ الآن بأنفاس الإذاعات اللئيمة

إنني أكره صوتي..

في الإذاعات اللئيمة

1975 / 4/ 5

دمشق

أكان عليك أن ترحل؟

حبيبي، أيها الماشي بريح الليل والمطرِ

بدون تحية..

ماذا تجوب الآن؟؟

تمزق جبهتي عيناك منذ رحلت يا قمري

وتأكل قلبي الأحزانُ

أكان عليك أن ترحل؟؟

أكان عليّ أن أبكي طويلاً في يد السهرِ؟

حبيبي

كنت هذا اليوم من ضجري

ألوذ بكل ما خلّفت من شعرِ ومن صور

وحين سمعتُ أغنيةَ زرعت بها حكايانا

غداة رحيلنا الأول

شعرت بأنني أقوى من الطغيان بل أنذل

فقمتُ فتحتُ شباكي

لأبصق في جبين العالم المجنون لكني

رأيتُ في وجوه أحبابك

فعدتُ بكيت من زمني

بكيت بكيت فوق نثار أثوابك

أكان عليك أن ترحل؟

حبيبي

سوف تعلم هذه الخوذُ الحديدية

وأحصنة المخانيث الترابية

بأن صغار قتلاها

يطالون السماء

وينبتون كأنهم أعشاب

على الأبراج في الطرقاتِ في الأبواب

ويقتحمون بيت المال:

ألوية وأعناقاً وأفواهاً

فلا تزعل

حبيبي..

هاجري..

يا حارسي

يا طفليَ المهمل

أكان عليك أن ترحل؟

أكان عليك أن ترحل؟

متى تأتي..؟

1965 / 6 / 2

بغداد

كلمة إلى الزمن البعيد

يا طيور العالم القادم

خضراء وبيضاءَ

بعيداً

حلقي عنا بعيداً

يا طيور الفرحين

شبَّك العوسج في كل مزاريب دماي

وأنا الآن سقيفة

تزع الأحزان فيها الأجنحة

وترابَ الأضرحة

والبخور

داخلي صوت حجارة

يقذف الموتى بها وجه ضحاي

وسمَاي

والبشارة

مدني يحملها نهر دخال

والبيوت والقصائد

والإذاعات التي نسكن فيها

أيُّ شيء تقرأينه!!

أي شيء تسمعينه!!

نصرخ الآن، وهل يصرخ إلا داخل الماء غريق!؟

نضحك الآن، أجل نحن، كما يضحك في القش حريق

ونغني لغد يأتي

فمن أين يجيء؟!

يا طيور العالم القادم...

هذا نحن، يخزي صمتنا حتى الحجارة

فبعيداً

حلّقي عنا بعيداً

يا طيور الفرحين

نحن صدَقنا جباه الميتين

فسقطنا

نحن كنا طيبين

لا تكوني

يا زمان الكشف يا خير زمان

يا جواداً ولواءا وكتاباً وسنان

يا سفينة

يا جناحاً من حديد

يا قريباً وبعيد

يا زمان الطافحين

خذ بزنديك طيور العام القادم

خوف الانحدار

في المحاريب الدنيئة

في المسافات القميئة

وهوانـــــــــــا

نحن أسوار الأقاليم البعيدة

نحن أسوار بلاد الانكسار

وبلاد الانحسارِ

لتفرّي

يا طيور الفرحين

نحن في وجه النهار

صخرة الموتِ

جدار

ويحنا

أيُّ جدار!!!

1971 / 2 / 20

بغداد

خطفة من الزمن الماضي

حينما كنا صغارا

لم نكن غير صغار

كلنا يسبح في الماء البطيء

كلنا يركب موجاً ليس يجرح

وعلى صخر الشواطئ الأسود اللزج الدفئ

نتزحلق

ونطير

كخفافيش المغارات العتيقة.

يا عصافير صباي

اقبلي الآن فإني أقذف الآن بشدق المصيدة

لأعرّي ساكن البيت الرديء

وانكماشات الجباه

والعيون الخربات

في الأزقة...

ولكي ينهش قلبي سمك الصيف الذي كان يخيف

وتوقف أنت يا ضيفي الأخير

لستُ من طيء ولا كنت (نبشتَك) (1)

فخذ المردي الأخير

ثم خوض في بحار الظلمات

اذهبا أنت وربك

وانسياني

إنني أكسر مثل العود هذي المئذنة

فانهمارايَ مآذن

كل ما أملك في وجه القلوب السود صوت

وغداً يأسرني الحمقى وأطوي بردائي

ثم أُرمي من شبابيك المحطة

لبراميل الرصيف

فتوقف أيها الضيف المرائي:

أولا ينكسر الغصن الذي يحمل أكثر

والحمامات الجرئية

ومسمار النهر من تحت جسور الشوك يحني أو يكسَّر

في سكون

منذ أن كنا صغارا

---

(1) هو بطل الطوفان البابلي دخل في مجمع الآلهة. وقد خان الآلهة إكراماً لضيفه (جلجامش) ومنحه سر النبات البحري الذي يهب الحياة الأبدية لآكله.

حدد القافلة الأخيرة

حقيبتي البداية

حقيبتي النهاية

وفي غدٍ ستكبر الحكاية

وينفض العصفور من شرفته غباره

يخرج من دائرة التروي

ويطلق الإشارة

خرجت من أبخرة المغارة

بالجسد المحترق المكسورِ

مشيت في جنازتي

بكيت في الجنازة

بكيت في جنون

وحينما أفقت كنتُ موثقاً

حقيبتي وسادتي

وزاديَ الغبار

بحاري الدروب والجسور

مرافئي مكاتب السفر

جريمتي أني أفقت ذات يوم

لأرسم الحمامة المحترقة

على حجار السور

ومنذها أدوار

محاصراً مقهور

وسيفهم ينام في فراشي

ويسكن الحقيبة

معي وراء السور..

سكتُ عن مختلس الإمارة

سكت عن ذاك الذي أطلق في بيوتنا غباره

وكسَر المرايا

واغتصب الصبايا

ولم أزل أموت من وطأة هذا الصمت

معذرة

فعاديتي القديمة

تصبح بي أن أفضح الجريمة

وليغضبوا عليّ...

تنام في رؤوسنا الصغيرة

خارطةُ متقنةُ حمراء

لكل بيتٍ قاتلٍ وسارقٍ ومدّعي صداره

على امتداد الوطن المعروض للبيع وللإعارة

في غد... يا لغد..!! ننتزع الإمارة

ملاحنا الحجارة

والعلب الفارغة المنثّرة

والكتُبُ الممزّقة

والجثث الشوهاءُ والأحذية السودُ التي

غادرها لتّوها العساكر المعثرة

فإنني أموت من شوق إلى أن نسدل الستارة

على دينِ ونرفع الستارة

عن صبيةٍ يرمون بالحجارة

جبينَ كل قاتل سارقِ ومدعي صدارة

.....

معذرة..

أمت من وطأة هذا الصمت

لو أجف

إلى قصيدة (ريتا والبندقية) لمحمود درويش

أيها الطائر خلف السور كالنجمة أخضر

وصلتني من أغانيك مناديل سكر

غير أن الريح القتها على صدريَ خنجر

أيها الطائر خلف السور كالنجمة أحمر

إنني أجهل حمل البندقية

أترى قبَّلت ريتا..!

إنني مثلك أخفي في دمي ذات عين عسلية

ولقد ذوّبتها...

لكنها كانت على زنديَ طينة

والمدينة

عندنا لا تأمن الشعر لا تسكن فيه

على ساعدك الشامخ ريتا بندقية

لم أكن أبكي لكني سأبكي

حينما أفتح عينيها فلا أبصر فيها

أذرع النار التي تمسح أحزان البنفسج

أترى تأسر في كل عشية

قمراً تحبسه خلف جدار

وتساقيه مع الليل دم الكرم وتسهر

في أغاني أم كلثم الحزينة

لتغني للعيون العسلية؟!

ولمن تقرأ شعرك؟!

إنني أحمل قاموساً عن الثورة.. لكن:

زهرة القاموس ليست زهرة الأرض التي فاض عليها

كل ذاك الدود أ ذاك الدخان

آه كم أني تمنين – يميناً يعينك –

أن أدفي بدمي حزن جبينك

غير أن الشجر البارد لا يمنح إلا قشعريرة

آه كم أطربت – لتعلم – كم أطربت بالشعر الحزين

كم على شعرك قارعنا كؤوساً وتلولبنا حنين

وتسابقنا فعلقناك في كل جريدة

فالجريدة

كل ما نشهر في وجه أسانا

هي درب أبدي نحو زنزانة فجرك

والأمور

كلها – فيما يقولون – تهون

بزجاجات من الشاي وأنفاس سكاره

أترى – يا طائري الأحمر في الليل – تهون!!

أمس طيرتُ قصيدة

من خلال الشك في الريح إليك

ربما مرت عليك

ناعم شعري لم يعتد على طعم الدخان

سأغنيك.. أغنيك، في كل عشية

عندما أرفع كأسي بالتحية

وأغني للعين العسلية

هاجر الحب إليك

بعد ما أغيرَّ صداه

في مآفينا، فأطعمه ودفنه لديك

وسأبقى أتعرى لرياح مقبلات من يديك

علني من عراق الخيبة الحزن.. أجف

1968 / 5 / 7

بغداد

عيناها في الغربة

أتقرأ هذه الساعة؟!

أتضحك أم على الشباك تنتظر؟

أيهطل – هي تعدو – فوقها المطر؟

أم الريح الصباحية

تعابث شعرها الذهبي هي تعاند الريحا..

حبيبتي التي تمشي على قلبي

ويقبض كفها الروجا

برغم حوائط الغربة؟

لأجل عينها أعطي ضحاي وأنفق الدنيا

وأحمل قائعاً ما تنفض الرؤيا

بأعماقي من الأحلام والشطآن والزرقة

وأكتم حرقتي... ما أثقل الحرقة!!

سأذكرها

لن أبكي على أحد

فيا بلدي

سماؤك لم تكن يوماً تدفيني

وماؤك لم يكن يوماً ليرويني

وحتى نخلك النضاح بالثمر

وحتى ليلك الفضي في السَّحر

ويا بلدي

تعبتُ

فلم تعد عيناي تطلب غير عينيها

فناسك.. آه من ناسك

ألم أكبر على أكتافهم حبا...!! ألم أحلف لحراسك؟!

ولكني – وأقسم أنني لا أعشق الغربة –

لكي أهواك أرحل عنك يا بلدي

أتبزغ في سماوتي

خلال الليل في المدن البعيدات

عيون حبيبتي؟!

فعيونها أهلي أحبَائي

عين حبيبتي في ظلمة الدنيا أدلالي

فسلم لي على عينين أبصر فيهما عينيك يا بلدي

سأذكرها ولن أبكي على أحد.

الكويت 1968 / 3/ 6

حـلم

هبط الفجر جناحاً من زجاج باهر الخضرة يضحك

ويغطي كتفيّ

وأنا أنزل في بحر طيل وطيل طويل

زرقا كنت، جبيني كان برجاً يتسلى بالنوارس

راكضاً في البحر من دار إلى دار، كفى حجرية

لم تكن تحمل شيئاً تدقَ

وتدق

وأناديكِ ولكن لا تردَين علىَ

وأرى خلفي شاهيني كأبراج من الآجرَ

تهوي

فأفر

وإذا بي فوق بغداد أغني ثم أبكي

في جنون

راكباً قوس قزح

ساعدٌ يسقط سوطاً فوق ظهر الأعظمية

ساعدي الآخر سيفاً

ثم شيئاً مثل باب ذهبيَ

في درب الصالحية

ويدا تموز حولي وعناقً أبديْ

سكت العالم برهة

ثم ناداني بصوتِ دمي:

(ردَ يا جلجامش الوغد جناحك

عن سمائي)

فأهلَت ضحكة منكِ أفاضت

شجراً أحمر أحمر

وتلمستكِ لكن صرت خنجر

ودموعاً كبرت صارت مرايا

وبيوتاً سجناً ومآذن

ورمتني قدمي فيك سجيناً

لم أطل فيك

رماني حارس من أحد الأبواب

في بئر عميق

صرت أبكي وأناديك:

خذيني

وأعيديني سجيناً أبدياً

لم تردّي

شبّ في وجهي حريق

صار وجهي طائراتٍ ورقية

طيرّتها الريح ألقتها بعيداً

في الشبابيك البعيدة

في مدارات دخانُ

حينها دختُ بكيتُ

الماني تتلألا ببريق ذهبيُ

في يدي، ثم أفقت

حلماً كان

لكن هل ترين

أنني أُفسر الحلم أموت؟

لكي أهـرم وحدي

كجناح الطائر الأخضر في الصبح أتيت

تغمر الفرحة عينيك وفي ثغرك فرحه

على هدبك من تلك السهول الخضرِ نفحه

من شواط كدت أنساها..

قد أغمد في قلبيَ رمحهُ

شجن العمر الثقيل

كبر العصفور، والحزن طويل

فخذي عني جناحيك بعيداً

وليتوّجك النهار

أبحري في صحوهِ الأزرق والشمس أحبسيها

بذراعيك.. خذيها

قبل أن تسقط في بحرك، إني غربي عندي، خذيها

ودعيني

لا تخافي

إنني أشرب إذ تشرب عيناك ضحاي

وأنا أخشى على فرحة عينيك أساي

لم أعد ذاك المغنَّي

ها هنا أذبل في هذا المساء

طائراً يغرق في ماء البحيرات ألمسنه

إنني أعجب لي كيف أنام

وبصدري كل هذا الحزن

من يكسر حزنه؟!

هذه الفرحة في عينيك أخشى أن تجف

فهنا كل الذي حولي يجفّ

ويموت

فدعيني

بغداد 23 / 2 / 1969

صباح الغـد

غداً تمضي لياليا ونفترقُ

وتأخذنا رياح الهمّ....

كل في طريق موحش الساعات يحترقُ

ويرجع وجه كانون الذي كنا على أنسامه في ذات أمسية

تفتحنا.

غداً يا زهرة الأعراس أبحث عنك في فجري

وفي قلبي

فيما عاد مطوياً من الشعر

فلا تطف على عيني إلا زهرة الجوري

وإلا صوتك المبتل بالأفراح والنور

غداً يا زهرة الأعراس تحرقني بآهاتي

بقايا ذكريات لم أكن أدري

بأني سوف أجملها مدى عمْري

تدق قلبي المهجور ريًاها

غداً يا زهرة الأعراس أمشي في صحارها

وأقضي الليل بعد الليل أرسم في خيالاتي

ربيعاً مرَّ.. يا أحلى خيالاتي

غداً.. يا ليتّ لا يأتي صباحُ الغد

1969 / 5 / 6

بغداد

تذكرة العودة

أعود إليك يا قدماً تدوس عليَّ

توشك أن تكسْر في دمائي جبهة القمر؟

أعود لقبضة الحجر؟

أعود إليك يا من تأكلين لحوم أبنائك؟

نسيتِ غداة قلتُ لوجهك المنحت كالحجر:

أنا الباقي برغم البرد في مائك

أقاتل بالدم الباقي لديّ جحافل الديدان

وأحمي لحم أبنائك....؟

أعود إليك...؟

هل تنسين صرخت في حرقة:

حنان يديك في شفتي

حنان يديك في الرقبة

فقمتِ رميتِ في وجهي بقايا الشعر والأثواب

وقفت لي في الباب

وقلت حذار أن ترجع

لأبحث في القفار السود عن شجرِ

وعن أهل وعن أحباب؟

حزين القلب منذ خرجت من عشبي ومن مائي

أحنّ إليك يا رئة لأنفاسي ونافذة لأضوائي

ويا دميَ الذي جَمعت من داء إلى داءٍ

لكن لا يداكِ لا هواءُ الله في غرقي؟

ومعذرة إذا أقسو عليكِ

فإنني أبكي من الأرقِ

سأرقص نشوةٌ ألم أثوابي

وكل قصائدي ثمناً لتذكرة الرجوع.. الله يا بابي

ويا عيني صغيريتَ التي لم تعرف الحرقة

لكَم سأبوس حتى عتبةَ الدار!!

حنان يديك في الغربة

الكويت 31 / 3 /1979

قصيدة في البئر

العصافير بقايا رشيها الميت يلتم عليّ

أغلقا البئرَ على

أتسلق؟

ليكنْ.

وليتمزق

جسدي فوق صخور الحائط الأسود حتى الانكسار

النجاة

إنه أول مأزق

إِنني يا عالم الشمس الذي فوقي.. أغوص

صوتكم نحوي لكي يُذهب عني

رعشة الخوف الذي أسبح فيهِ

قصيدة جديدة

قديمة دماؤهم.. جبانة

شعرهم يجعل ما زال هنا زمانه

النار لا تقرأ والطين لا المهانة

قصيدةً

تفرك كفّيها أسى.. جبانة

لا تخنق الشاة الذي لا يمتطي حسانه

الطينلم يبرح على عيونهم مكانه

لكنَ بعض الصحف المدانة

يشعرهم تحرس تاج الشاة

تدخل قصر الشاة

تحمل اسم الشاة

لأنني لا أعرف القراءة

لو أنني أمشي على الكفينْ

لو أنني أجعل من قصيدتي عباءة

لأدخلوا اسمي على الفور له

مغنياً موالياً

يُطربه ويطرب البطانة

لكنهم أعرف أني فضّ

سوف أغيض الشاة

ليسكتوا حروفهم

فنحن في الطريق

لنخنق الشاة الذي لا يمتطي حصانه

ولا يرد النار عن جوهنا

ولا يرد أعين البطانة

ليسكتوا حروفهم...

فإنها جبانة ...

جبانة

بغداد 10 / 11 /1967

شيء من الفضيحة

أنا من كل مدينة

أنا من كل بقايا جسد خلَّفها القاتل في الرمل تجف

أنا من كل نساء الزمن النابت في ماء الضغينة

أنا من تلك المراجيح التي تأكل من لحم بنيها

من جسور الشك فوق الأنهر الغرقي

وقد أخرست الريح أغاني عابريها

صامتاً أقبلتُ، والصمت إذا يعقد كفيه على جرحٍ – سكينه

يا صحارانا البعيدة

يا قبول الخائبين

يا صخوراً طالما دثَّرها ريش نسور وعصافير شهيدة

لتذوقي دمَ اليوم، فالقلب جريحُ

سأبوحُ

– واغضبا يا أهليَ الباقين من بعدي رهائن

زمن النخوةِ قد فات، لم يثأر لنا صوتُ حميَّة

فاستريحوا

يُطبق الجرح على الجرح، في بعض القصائد

صوتُ جبَّارين جرحى يتلاقون على أرض الهزيمة

يفضحون العفن الباقي على كل شبابيك الجرائد

والإذاعات التي تدري ولا تدري بأسرارِ الجريمة

يصدق الجرح إذا حدَّث، لكنَّ يد الصمت رحيمة

فلتصفَّق حدها تلك الجرائد

والإذاعاتُ لمن يتقن دفن الشهداء

واستريحوا

الكويت 26 /6 / 1970

الكسر بالكلمات

حينما تكسر في الليل زجاجة

فبضةُ الريح.. فمن يملأ رأسي

بشظاياها.. !! ومن يغرز فيهِ

نضل سكين من الحزن!!

ومن يكسر في صدري هواي؟!

أمس والريح تدر

ومن المذياع لا ينفذ نور

زحمت بيتي الوجوه

بعضها يحمل بعضا

زحمت بيتيَ من رائحة الخمرة والتبغ.. ضبابه

أمس.. يا أمسي الذي أشربني ماء الكآبة

قد عرفت الانكسار

حينما اجتاز حدوده

تاجر النار الذي أمس على قلبي أغار

عبر أخبار الإذاعات التي تقتحم القبو عليّ

ها هنا باق، على طاولتي أبقت يد اللص جريدة

ثقّبت فيها السكاكين ُعين الشهداء

وأحاطت بالخيوط السود في رأس الجريدة

اسم (نابلس) و(هانوي) وبغداد الجديدة

وعلى كعب الجريدة

تركت تبرد كالسيف قصيدة

لصديقي (ابن جيكور) الذي ظل يمت

غير أن السيف مكسور بخيط من خيوط العنكبوت

لم أكن أملك رغبة

فتنهدت ولم أقرأ ولو اسم قصيدة

آه.. لو أن الكآبة

عد كبريت لأشعلت دماي

ليتني كنت ربابة

لتسليت إذن وتآكلت.. ولكن ما عساي!!

بظلال الكلمات

كسروا قلبي، داسوا بظلال الكلمات

ومضة الصحو الذي أشك أن يبزغ في كل دماي

كسروا سيف صديقي

كسروا كل سيوف الاصدقاء

آه .. لو أن ظلال الكلمات

كسرت قلبيَ وحدي

لم أزل أسكن في الريح.. فمن يسمع صوتي!!

إن رأسي يتمزق

..... يتمزق

20 / 8 / 1968 بغداد

الخاتمة

كانت الشمس المواعيد وقد كنت أراها

كل اطلالة شمس

ولقد كنت أراها

حينما تغترب، والآن وقد بذلت الأرض هواها

أترى لن تبزغ الشمس علي؟

أشريتني كل فرحة

عرفتنا كل مساحات طفلين

يطيران معاً كل صباح

علمتني أن أرى العالم أجمل .

وأرى كل الحكايات جميلة

ثم مرَّ

الربيع المزهر الضاحك مرَّ

فلتُملِم نفسك اليوم بكفيكَ وحيداً

ولتُقضِ العمُر الباقي على الرمل طريداً

مثل قنينة خمر فارغة

كلُّ شارع

صار سكيناّ إلى القلب يغور

والمدينة

غيمةٌ سوداء، والشمسُ دماً أسودَ يهمي

والصباحاتُ حزينة

والأصائل

لا تقل شيئاً ودع ما مر كالحلم يمرّ

وانتظر كوناً جديداً سيجيء

1971 بغداد

ليغنيك سواي

في غد قد لا أكن

غير ذكرى في ليالي الأصدقاء

والعيون

تتسلى بقصاصات جرائد

شربت في ذات يوم

من يديْ

سأكون مثل عصفور على الريح تدلي ثم طار

واحتوته السحب الخضر البعيدة

يومها سوف يغنيك سواي

فإذا ما شدَ من حولك زنديه غداَ أول ساعات المساءَ

فسيأتيّ القمر الضاحك من دنيا بعيدة

حاملاً مني إليك

في جناحيه جناحي وفي خضرته خضرة شِعري وهواي

يركب الانسام في الليل إليك

وعلى شباكنا الأول يرتاح قليلاً

ثم إذ يهوى عليكِ

سيصحّيك ويصحو ويفرّ

فتفيقين من الحلم ولا تقبض عيناكِ

سوى خيط غبار

وسوى صمت الجدار

أيها النهر العظيم

أيها النهر الذي يسبح في قلبي وفي كل دمائي

أيها النهر الذي أعطيته خير غنائي

وصباحي ومسائي

ونشوري وانطوائي

يا مضيء الشاطئين

أيما المسكر يا نهر هواي

إنني أحشى عليك الانكسار

إذ يغنيكَ سواي

لن تفري من رياحي

يا أحب الأنجم البيض لديّ

ستظلين

تنامين على ريش جناحي

رغم أني في غد

تأخذني الريح إلّي

فليغنيكِ سواي

1969 / 5/ 8

بغداد

نداء

أين يا صوت المزارات البعيدات أنامُ

أين ألقي رأسي المثقل بالحزن..

وقد حلَّ الظلامُ

يدي فارغة من ذلك الزهرِ

شفاهي لا يدفيها غناءٌ وسلامُ

الحماماتُ الأليفة

كلُّها أبعدُ من نجمِ الضحى عني

وفي قلبي كلامٌ ليس يكفيه الكلام؟

من ترى يحملني الليلة خيطاً من عبير

وشعاعاً ليس يثنيه الغمام

نهاراً طائراً يركض من كفِ غديرٍ لغدير

نحو أضواء المزارات البعيدة

ثم يغفو وينامُ

آه يا وجه السماء المستدير

يا هبوب المطرِ الناعمِ

يا زفة عصفور على شرفة كح جبليّ

يا خلاخيل الصبايا

ورنين الذهب الآتي من الشمس

أطلّي

لم أعد أحتمل الصمتَ

ولا هذا الدم الصاعد في كل شراييني

أطلّي

غزلية

يا بريق الخرز الآتي من البحر نقياً وبليلاً

يا صدى غنوة بحار مع الفجر يناجي عنفوانهْ

يا مطاراً فاتحاً يضحك للخارج من تحت حبال المشنقة

يا رمال الجزر ا لأصفى من الصبح المحنّى

بزغاريد العصافير الصغيرة

يا أواني العسل البيضَ

يا وجه القطيفة

يا خرير الماء في حوض من البلورِ

يا نجم المساء الجبليّ

يا عطوراً آلياتٍ من بحار الخلوات

يا هواء الفرح المرتقب الآتي

ويا كل مرايا الشعراء

أيها الوجه الخرافي المنورَ

أوشك الحبل يضيق

أوشك الطائر أن يهرم

أن يهوي على سنَ حجارة

خذ بكفي

ضمني:

كل بقائي

وانكساري

وارتمائي

خفقة في ذلك النهر البهيّ

في دمي يصهل جيش من خيول وثنية

وصحاري

مسها خط استواء الصَبواتْ

وسفائن

خضَّها شوق سحيق دمويَ

وبكاءُ جارح في آخر العمر

لكي يبزغ وجهك

وحدك الباقي مياها عسلية

وجسوراً عسلية

كيف لا أسقط فيك؟

كيف لا أسقط نجماً جائعاً خلف جفونك

وشفاهاً ولساناً لا ترى غير جبينك؟

فتتحرر من أفاعي كبريائك

مرة واحدة وانزل إلى

يا حبيبي

13/ 11/ 1970

بغداد

مبارك أنت يا فرح

العصافير التي لوّنها العرسُ المضيء

العصافير التي في ضحكة الصبح تجيء

عرفتني

عرفت فيّ الغواية

عرفت أني بكاء تحت قوس النصر

خوف في زمان الفرح البازغ

حزنٌ خُواء

عرفتُ أن الذي يسقط في الطين ولا يخرجُ

طينة

إن من لا يبصر العرس الذي يكبر في كل بيوت الفقراء

ميّتٌ يقطر موتاً وعفونة

العصافير النقيّات الطرية

ضحكت لي

نزلت من راحة الشمي إليّ

رقصت بين يدي

نفضت عن جبهتي الطينَ ظلَّ العنكبوت

أيقضت فيّ عيوني

غسلتني من ظنوني

حملتني

طوَّفت بي في البيوت

في العيون

في الوجه

حررتني من هواني

أخذتني معها

نحو تخوم الارتواء

أخذتني معها

نحمل شمس الفقراء

فتوقف يا عويلَ الشعراء

1972 / 6 /2 بغداد

خذوا مني

أحدثكم:

لها عينان لو ضحكت أحسهما على قلبي

فأوقظ فرحتي: ألغوث يا صحبي

فكلَ طراوة الأيام تحسبها بخدّيها

أشمَ جبينها وأشمُ كفيَها

هل عطرُ سوى ما مسَّ كفيها

وخديها

وعينيها؟؟

أحدثكم

مراشفها إذا مامستي برد تدفيني

وأنسى حين ألمسها

أنار فوق كفي أم مناديلُ!!

أما ذاقت شفاهكو طريَ التين والعنبِ؟

أحدثكم:

تلاقينا أصيلاً فوق دجلةَ، من رأى دجلة

وقد زُفت شواطيهِ

بغابات النحيل.. بضحكة الأقمار.. بالعطر

وكم من شاعرٍ غنى فأطرب في هوى دجلة..!!

ولكني رأيتُ جبينها أجمل

وآخر ضحكةٍ لعيونها كانت على عجا

وما زالت هنا في قلبيَ الباكي أخبيها

قالت لا تطل سفراً.. أخاف عليك أن تنسى

أحلفكم أمثلي عاشق ينسى؟

سأحملها معي زادا إذا ما طال بي بعدٌ

خذوا مني وشمّوها

نغم

ماذا أقول فتنة الدنيا التي فُتحت عليّ

غابت وما تركت لديّ

إلا بقايا ضَحِكات!!

كان الأصيل ألذ ما عرفت مناي

والعطر أجمله نشقت في دماي

لما نزل منه بقيَّة

كانت يداي

تستدفئان بكفها وعلى رؤاها مقلتاي

تتفتحان كزهرتين أزاح نومها المطر

يا ما ألذكَ يا مطر!!

لكن ساعتها تقول سينتهي هذا اللقاء

يا ليت كلّ دقيقة تصبح نصف عام

لأشم بسمتها العنيدة

من كل أعماقي أشمَ عينها حتى القرار

يا أيها النغم الذي آمنت به

وسهرت أذكره وأكتب عنه من قلبي قصيدة

أشرق عليّ .. فإن دنيا لست فيها

أقسى عليّ من الحجار

ماذا سأنسى منكِ يا أشهى قصيدة؟!

خلّي الرعود تهز أعمدة الطريق

وتهز حتى كل مصباح يطل على الطريق

وعدي السحاب يصب.. يغسل جه دنياي الكئيبة

فمع الرعود مع السحاب سترجعين إلىّ كوكبة حبيبه

وتلملمين خيوط هذا الحزن عن قلبي

سلام

يا من سأذكرها

سلام

بغداد 1968 / 12/ 4

سهرة

جلد هذا الحزن في الليل سميك

جسدي يرفض ان يلمس غيره

وأنا الآن أدور

والمدينة

طائر يهرب مني

مطر أغزر من ماء الفرات

كتفي يطرده عنه فلا تسكن قطره

والسياجات التي أقفز منها

كصبايا المرقص الليليّ، يعطينَ ولا يعطين

من يفضح سره!!

من حدود التليفزيون أتيت

ختموه الآن، كانت سهرة الليلةِ عرساً وألد

ثم غاب القمر البض الشهيّ

وغداً خوف الوقيعة

سوف يبكي التلّيفزيون الشقيَّ

ويداري – كذباً – جمهوره شهراً بحزن صُوريْ

فلتَصُمْ شهراُ أذن يا ليلنا القادمَ عن وجه المذيعة

سائقي يلعن ليلّةُ

غضباُ، قد نفذ الحمر لديهِ

والنساء

عندنا يخشين في الليل المدينة

والعصافير لعينه

في الشبابيك المطلاتِ على الساحة من دون حياء

تتلاحق

وعلى زاوية الشارع سيَّارة نجده

القصيدة

بلغت في رأسي الآن النهاية

وسأمضي لأنام

والمدينة

لم تزل تهرب مني

قد تعدّي حزني الليلةَ واجتاز حدوده

منذ ترى يرفع عني

جلدَه القاسي السميك

من تُرى يفعل من....؟

بغداد 30 / 4 / 1971

محاورة في بوابة السور

– إلى ثلمة من سور الكويت مهجور على الشاطئ

يا سرها المطل في البراري

كحارس المرافئ المهدّمة

يراقب الصواري

كشهقة الغريق في قرارة البحارِ

كنجمة وحيدة في ليلها حزينة

نشيج هذا الشاطئ المقوَّس

كاشفني بحزنهِ

من أول الحكاية

يا سورها.. يا هذه النهاية

تطلَّعتْ إلىّ غرفة الحرسْ

مهجرة غليقة

تحرسها الطحالب

تؤنسها العناكب

تأكلها الرياح والشوارع الجديدة الأنيقة

ظلت هنا.. برغم قسوة الحنين ساهرة

تصيح بالبواخر المسافرة

لعل سائحاً يمر ذات يوم

يقرؤها سلامة

يسمعها أغنية

وإن تكن مسافرة

أنا الذي أتيت يا رفيقة

مسافراً يا أيها المسافرة

محاصراً يا أيها المحاصرة

هزمتَ في مداخل الموانئ

هربت من تداخل المباني

وجئت ها هنا...

أمام بابك الغليق لأجئاً ألوذ بالطحالب

من قسوة الفنادق الكبيرة الغريقة

– مناكباً تغوص في مناكب

حناجراً تغوص في حناجر –

أمام غرفة الحرس

أريد أستريح ليلة

من قبل أن أسافر

لعل أهليَ المهاجرين يا رفيقة

تطل مرة طيفهم علىَ

من خلل البحار

حنان راحتيك يا رفيقة

16 / 3 / 19ذ70 الكويت

الثانية بعد الظهر

عائد تحوكِ يا ذات العيون العسلية
عائد أحمل كالثلج نقية
قبلة اليوم إليكِ

يا رفاقي دقت الساعة ثنتينِ
فسدوا ذلك المذياع لن أسمع شيئاً
كل أخبار المذيعين هجينة
تنحز القب ولا تقطر إلاّ بالضغينة
وأنا أخشى على الصحو الذي أعرف أني أحتويهِ
دقت الساعة فلنحمل كما جئنا الحقائب
ولنعد: كلٌ إلى الصوت الذي يسكن فيهِ
فالإذاعة
ليست الصُّورَ الذي نحلم فيهِ
يا رفاقي
حزنكم ما هان في يوم عليّ
لا ولكن في انتظاري
ذلك القلب الطريّ

عائد أقسم بالشعر الذي يثقل رأسي

يا ابنة الباقين كالثلج نقيين جياعاً
يا ابنة الأحزان، يا ذات العيون العسلية

أيُّ ريح فكت الباب لعينيك عليَّ؟
من ضحى البصرة أقبلت إليَّ
أم اللحن الصعيدي الشفيف
قادماً عبر الصحاري من بحور إسكندرية؟!
يا لعينيك العميقة
من ترى (قيسٌ) ومن فارس (بثنة)؟!
من (أراغون) وعينا زوجه (إلزا) ؟!
فإني أملك العالم في عينيك في هذي العشيّة.
ضحك عينيك برغم الحزن شلال ضياء
وشواطٍ عسلية
ودفوف وتراتيل وأصداء نداء
قادمٍ في الريح من كل عيون الفقراء
يترامى في دماي؟!

هل ترين
ذلك النجم الذي يخفق في آخر لّجة
طيَّ عينيك العميقة!!؟
إنه النجم الذي أصرخ كي يحفظ وهجَه

فالمرابون القساه
يتقفّون التماعات النجوم

عسلية
هي عيناك... ودنياي أراها عسلية

بغداد
1967

العودة الثانية

إلى الشاعر الليبي الرحال علي الفزاني

منذ أن كان الرحيل
سيفيَ الباقي وخيلي
منذ أعوام
وكان القمر الساقط في البئر
يغني في انكسار وذبول
صوته يسقط كالسكين في اللحم
ولا تسمُعه الأفعى المدينة
قد تعودت الرحيل
وتناولت العباءة
ودخلت البحر، سافرت لوحدي
كان صوتي من عيونك
يسرق النار ومن حزن جبينيك
ويجيء
خلسة في قامة الليل العميق
فأفيق
بين صحراء المرابين
وصحراء الخيانات أقاتل
وأصد العفن الخانق عن كل المدارات الحزينة

منذ أعوام
كأنَّ الزمن الهارب من بين يديْ
ويديك
سائح مر سويعات سريعة
في ليالي الجل الأخضر
وأرتاح قليلاً
ومضى وسط الزحام
وضحكنا
وبكينا
يومها
ثم تسابقنا على ضوء القمر
في رمال الشاطئ الساهر
عصفورين طفلينِ
يغصّان الصّبوات

ورقصنا
مرةً حين سمعنا من بعيد
صوت زحات مطر
ثم عدنا
مرة أخرى، ولم يُفتح لنا بابُ الماطر

بعد هذا الزمن الآكل من أقدامه
كلَّ طريق
وعلى وجناتنا ظلٌّ حريق
وعلى كفّك ندبٌ
وعلى كفي ندوب
هل رأيت؟
شعرنا كان نخيلاً ومصابيحَ
شراعاً
وفوانيس
وريحاً تعرف البحر ولكن
ليس تدري أين أبواب المرافئ
أترى يوماُ يجيء
موعد العرس؟ ولكن أين أو كيف يجيء؟!
رغم هذا الخنجر الممتدّ من خدِّالي خدٍ
ومن بيتٍ إلى بيت ؟!
ترى هل أصبح العرس خيالاً عابراً
في غربة العمر البذيء؟

بنغازي 1975

شعر إلى هانوي

يبرد الليل كما يبرد كفي
والدم الأسود في الشارع تذوره الرياح
غير أني مخلب ينبت في صدري الذي تأكل جنبيه الجراح
عربي أنا لا أملك إلا نعمة الحب وأمسي
وسوى شعر عن النصر برأسي
لم يزل يكبر... واللهفة زادي وشرابي

هانوي الصديقة
يبرد الليل، ولكن لضحاكِ المتدلي
لشبابي
ولعينينك أغني
يبدر الشارع مثلي
ويغني
وأنا أسمع صوتي ولا يسمع صوتهُ
قلبي الأبيض في الشارع من كفر يطير
ياحثا عن زهرة تحملها الريح إليك
غير أن الثلج قد طوح بالزهر لدينا يا صديقة
آه لو يسعفني الليلة ما أملك من شعر.. وآه
لو تدفي كتفي العاري يداه!!

لم أعد أشعر بالرغبة في أن أكتب اليوم قصيدة
فالشبابيك المطلات على صوتي لا تسمع شيّاً
يا بقايا السمك المّيت سيَّان جفافي وجفافك
كما تنفخكِ الريح ففي صدريَ ريح
غير أني أمسك الريحَ لكي أنفخَ فيها هذه الليلةَ عني
أو لكي تحمل مني
قبلة الوعد لهانوي الصديقة

آه.. هل تسمع صوتي
صوتيَ القادم في الريح إليك
أيها الطير الذي تسبح في زرقة هانوي العميقة
تتحدى هجمة الطير الحديدي المخيف؟!
صوتيَ القادمُ وجهي المتعبُ الحامل حزني وضحاي
أنا ما زلت وفي الباب عيون
وعلى بوابي القبو عيون
ورفاقي أعدموا الليلة، لو أملك نفسي
لتمطيت، لأقبلت من الريح إليك
بدمي الفائر.. لكني حبيس
لم أزل أكبر كالنار الحبيسة
زاديَ الشعر ولا زاد سواه

أترى تَقبل شعراً يا صديقي
آه لو كنت رصاصة

بلغ الأخوة عني
يا صديقي

1966 / 12 / 18

بغداد

سلام

هكذا يلتصق الإنسان بالحزنِ
كمسمار على لوح جليد
كل نفس عندنا ذائقة الحزن وحيدة
كل نفس عندنا ذائقة الموت وحيدة
فسلاماً
وبكاء
ووداعاً
أيها الزهر المصنّع
يا عروس القش والخوصِ
ويا طائرة الحلوى التي سوف تذوب

بغداد 1974

الشاعر / إبراهيم الزبيدي

- وُلد في العراق **1941**.
- عمل في التعليم والصحافة **1960**.
- تفرّغ للعمل الإذاعي والتليفزيوني **1964**.
- رئيس أقسام المذيعين والثقافة والموسيقى.
- مدير إذاعة بغداد حتى عام **1974**.
- غادر العراق **1974** وعمل في الإنتاج التليفزيوني.
- أنشأ تليفزيون الشرق في أمريكا.
- أنشأ إذاعة صوت الشعب العراقي **1991**.

صدر له:

- في سبيل الوطن **1959** – بغداد.
- قصائد إلى الزمن البعيد **1971** – دار العودة – بيروت.
- البث المباشر – **197** – بغداد.
- أقمار العيون المهاجرة **1976** – دار العودة – بيروت.

فهرست

- يا خيول الغرباء 5
- المتاريس 11
- حصاد المساء 17
- لقد كنا 21
- أسطوانة 25
- الربيع المهاجر 31
- السماء لا تبوح 33
- شيء من الحب 35
- هكذا تبغي الحبيبة 37
- البراءة 41
- غنائية ليل متأخر 45
- تهويمة 49
- المئذنة 51
- التصدي 53
- محاورة قبيل نهاية المهرجان 57
- صلاة في موس الانفتاح 63
- زهرة ما بعد الهزيمة 69
- طوبي للمهاجرين 73
- أرق 79

- وداع الصحو 81
- دعوة إلى الطوفان 83
- كلمات في آخر الليل 89
- صوت في قصر لم يمسسه الخوف 91
- عشية الخروج الأخير 97
- الفصول الأربعة 101
- الحملة الخاسرة 105
- الموت.. القش.. والظهيرة 109
- سيرة من ليس له سيرة 113
- المكاسرة 117
- رسالة إلى بويب 119
- بدر شاكر السياب 123
- المرور 127
- كل شيء يتغير 129
- فرح 131
- حوار مع الأقنعة 133
- كتابة القراءة 139
- نم في سلام 140
- الزرقة الآتية 143
- الشمس والحزن والمطار 145
- رسالة من.. إلى 147

- هدية العام الجديد 149
- الريح التي لا تسر 151
- رسالة إلى الوطن 153
- مروحتان 157
- النهر الذي لم يتوقف 161
- العَوْدة اليابسة 165
- أقمار العيون المهاجرة 169
- الموت حق 171
- قصيدة رثاء 175
- رسالة 179
- مطارحة 183
- وماذا بعد؟ 187
- أكان عليك أن ترحل 191
- كلمة إلى الزمن البعيد 195
- خطفة من الزمن الماضي 199
- حدود القافلة الأخيرة 203
- لو أجف 207
- عيناها في الغربة 211
- حلم 215
- لكي أهرم وحدي 219
- صباح الغد 221

- تذكرة العودة 223
- قصيدة في البئر 225
- قصيدة جديدة 227
- شيء من الفضيحة 229
- الكسر بالكلمات 231
- الخاتمة 235
- ليغنيك سواي 237
- نداء 241
- غزلية 243
- مبارك أنت أيها الفرح 247
- خذوا مني 249
- نغم 251
- سهرة 253
- محاورة في بوابة السر 257
- الثانية بعد الظهر 261
- العوْدة الثانية 265
- شعر إلى هانوي 269
- سلام 272